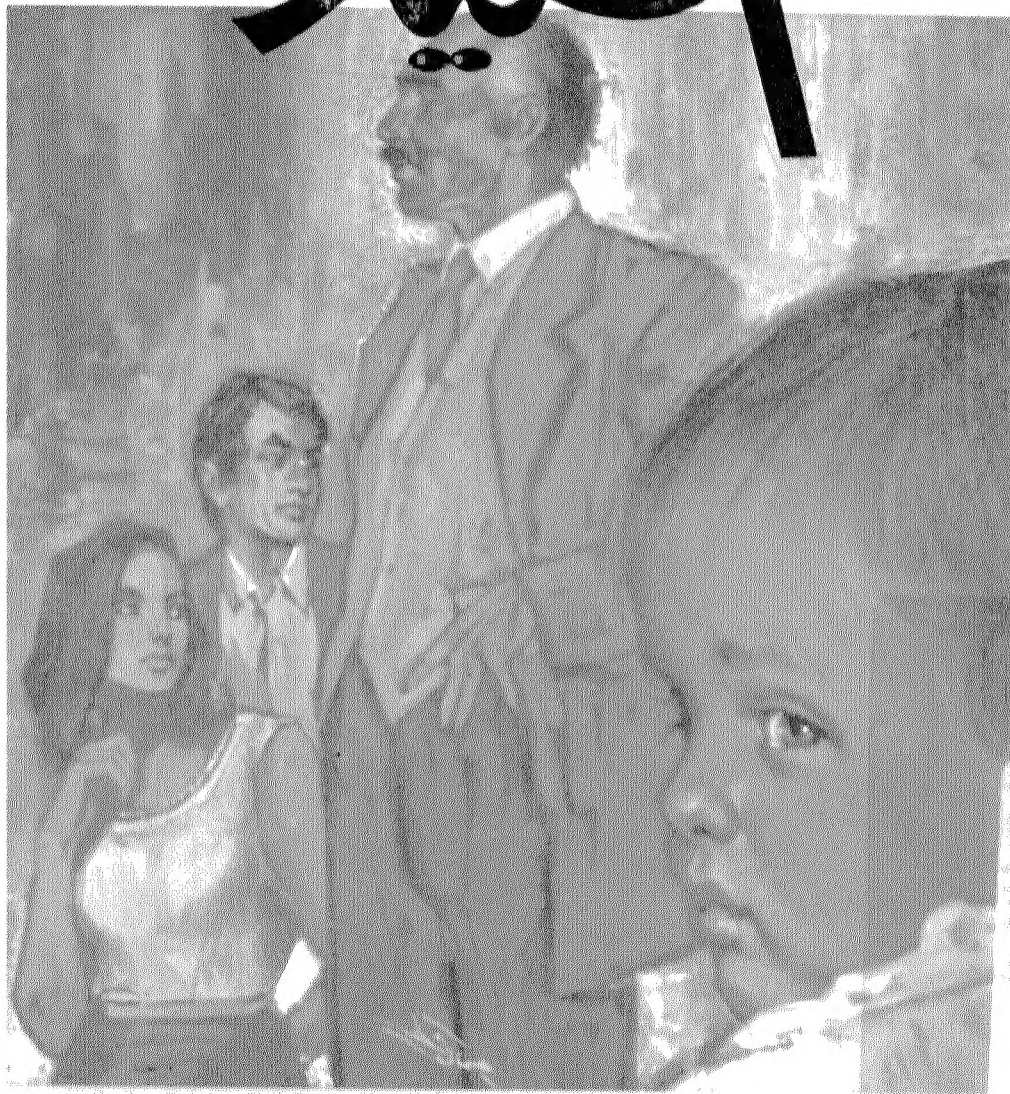




الحفيد



عبدالمحميد جوده السحار

مطبعة خان بكينة زلهر

الحفيد

تأليف

عبد الحميد هورده السحار

الناشر

مكتبة مصير
٣ شارع كامل صدقي - الجمال

فى سكون الليل انسل حسين إلى غرفة النوم وهو يترنخ من التعب ، كان يرتدى بذلته السوداء وهى البذلة الوحيدة التى يملكها ولا تزال تحتفظ برونقها ، فهو لا يرتديها إلا فى المناسبات الهامة . وهل هناك مناسبة أهم من حفل زفاف ابنته الثانية ؟

إنه فى ليلة زفاف أحلام سقط مغشيا عليه لما أقبل عليه شفيق وفى يده نبيلة وقال له : « أنا جأى يا عمى أطلب منك نبيلة » ، فما كان يقادر على أن يحتمل فكرة أن يقاسى ما قاساه من متاعب حتى زفت أحلام إلى جلال . إنها متاعب هدته هذا وجعلته يضيق بكل من حوله وما حوله . ولكن ما إن قال له شفيق إنه يريد نبيلة .. يريد لها بحقيبة ملابسها حتى أفاق من غشيته : وقد صدق شفيق وعده فقد جاء بالمأذون وفى حفل متواضع تم كل شيء .. عقد القران وأخذ زوجه وانصرف .

وعلى الرغم من أن الحفل اقتصر على أفراد الأسرتين فقد كان شيئا مرهقا ، لقد وقف طوال النهار يشرف على إعداد المائدة التى أعدت إكراما للعريس الذى أظهر من الشهامة ما أثلج صدره ، ويذب عنها عادية أولاده سوسن وعاطف وهالة — التى عرفت المشى — فكانت

تذهب إلى مفرش المائدة المتدلى على جانبها وتجذبه بكل قوتها .
 إن زوجته زينب لم تسمح للعروسين بالانصراف قبل أن يتتصف
 الليل ، فلما دقت الساعة المتواضعة المعلقة في الصالة الثانية عشرة نظر
 شفيق إلى حماته مستعطفا ، فإذا بالدموع تنهمر من عينيها وتقول في
 صوت مخنوق بالعبيرات :

— خلى بالك منها يا شفيق .

— دى فى عنى يا تنت .

وخرج شفيق وقد أخذ ذراع نبيلة تحت إبطه وذهبت زينب والأولاد
 خلفهما لوداعهما ، وانسل هو إلى غرفة النوم يترنح حتى إذا ما بلغ السرير
 ارتقى عليه بملابسه وراح يملاً رئتيه بهواء يشده بأنفه شدا والزغاريد
 تدوى في أذنيه .

وميز زغرودة من بين الزغاريد ؛ إنها زغرودة سامى . وهم بأن يقوم
 لينهره فما أصبح يليق بطالب قد عرف طريقه إلى الجامعة أن يزغرد . إلا
 أن تعب جعله يعرض عن رغبة القيام وتعكير دمه في شخط ونظر وهو
 يريد أن يستريح وأن يستريح طويلا .

ودخلت زينب الغرفة وهى ثوب السهرة . إنه ثوب غير ذلك الثوب
 الذى حضرت به زواج أحلام ، لقد أصرت على أن تشتري ثوبا جديدا
 لفرح نبيلة ، ثوبا يليق بالمصاهرة الجديدة وما كان له إلا أن يخضع .
 ورأته ممدودا في السرير بملابسه فتقدمت منه وراحت تخلع له الحذاء
 وهى تقول مداعبة :

— ٥ —

— أهو دلوقت لك حق تستريح .
فقال وهو يحاول أن يخرج تعبته مع زفراته :
هي فين الراحة دي ؟



— ح تستريح كثير .. كثير قوى لغاية سوسن ما تكبر وتجوزها .
وكانت قد خلعت له حذاءه فذهبت تعاونه على أن يجلس في السرير
لتخلع عنه جاكته البذلة ، فقال وهي ترفعه :
— هو أنا لسه ح اعيش لما اجوز سوسن .. البركه فيكم بقى .
فقالت وهي تخلع عنه الجاكته :

— ٦ —

— والله ما حدح يجوزها غيرك .. هو احنا لنا قيمه من غيرك .
وراحت تفك الكرافته وتعاونته على خلع القميص ، فلما صار
القميص فى يديها إذا بفانلته مرصعة بدوائر فارغة ... فقالت فى
إنكار :

— بقى دى فانله تلبسها يا حسين ! فيها إيه لو تشتري لك كام
فانله ؟

وأخذت تفك الحزام الجلد المثبت للبنطلون ثم أزرار البنطلون ،
وقال :

— منين يا حسره ؟! هو انا قادر اتلم على قرش . حقك يا زينب
تمسكى إيدك شويه ، لسه ورانا كثير .

تتوقف عن فك أزرار البنطلون وتلفت إليه فى شىء من الغضب :
— يعنى شايفنى عماله أبغتر الفلوس شمال ويمين . والنبي لولا تدبيرى
ما كنا قدرنا نعيش .

وصمت وكست وجهه موجة من الأسى . إنه لا يريد أن يثير
الزوابع ، كل ما كان يريده أن ينام .. أن يستريح . وفطنت زينب إلى ما
اعتراه فأرادت أن تخفف عنه فقالت :

— والنبي يا حسين ما تحمل هم ، ربنا كبير .. الأيام اللى
جايه ح تفوت زى الأيام اللى راحت . كنت باقول لك دايمًا
رزق البنات ورا الباب ما كنتش بتصدقنى . جالك كلامى

بقى ؟



وراحت تخلع البنطلون وحسين يقول :

— دا ربنا سترها بكرمه .

فقال له وهي تتجه إلى الشماعة لتعلق البنطلون وتعود بالبيجاما :

— ح يسترها على طول .

وعادت وقد وضعت جاكطة البيجاما على كتفها وأخذت تغد البنطلون لتدس رجليه فيه ، واستراح إلى ذلك التذليل الذى قلما استمتع بمثله طوال حياته الزوجية ، فرفع ساقه فى الهواء فتقدمت زينب وغطتها بإحدى رجلي البنطلون .. فأنزل الساق المرفوعة ورفع الساق الأخرى وهو يستشعر كأن أنامل رقيقة حانية تدغدغ عواطفه وإن كان كل

جسمه ينبض بالتعب .

وانتهت من إلباسه بنظلون البيجاما فجلس في السرير ورفع ذراعيه كطفل طيب يحاول أن يعاون أمه على إلباسه ملابسه ، فما أن أدخلت ذراعيه في كمى الجاكته حتى استلقى على ظهره منهوكا والنوم يثقل جفنيه فيسدلهما على عينيه .

وزررت له أزرار الجاكته ثم مالت عليه وقبلته قبله خاطفة وقالت له :
— تصبح على خير . نوم العوافي . عايز حاجه قبل ما تنام ؟
وذهبت لتخلع ثوبها فإذا به يقول وهو يتشاءب :

— عايز استريح ومش عايز حد يصحيني ولو الدنيا ادريكت .
وما أن أنهى من كلامه حتى جاءت من الغرفة المجاورة أصوات نائرة . إنها أصوات أنبائه وكان من الواضح أنهم يتشاجرون ، فهب من سريره وانطلق غاضبا إلى مصدر الصوت وكان آتيا من غرفة أحلام ونبيلة ، فدخل إليها كالعاصفة . وأتت زينب خلفه مهرولة مفزوعة تسأل :

— فيه إيه يا مقاصيف الرقبة ؟

رأى سوسن واقفة في وسط سرير أحلام ، وعاطف واقفا في سرير نبيلة عند رأس هالة التي نامت وقد انحسر ثوبها عنها حتى كشف بطنها ، إنها غارقة في سبات عجزت الضجة من حولها عن أن توقظها أو تجعلها تتململ في رقادها . ورأى سامى هائجا يمد يده لينزع سوسن من فوق السرير ، فلما سمع صوت أبيه يقول مستنكرا :

— ٩ —

— ما شاء الله ..

أعاد ذراعه الممدودة وأطرق ينتظر قضاء أبيه ، فأسرعت سوسن
تقول :

— الحق يا بابا . سامى ومراد عايزين ياخذوا أودة أحلام ونبيله بعد
ما تجوزوا .. مش الأوده دى للبنات ؟
فقال زينب :

— ومن قال غير كده ؟

فقال سوسن فى انتصار :

— سامى .

فتقدم مراد وقال :

— الأوده دى ما حدش ح ياخذها إلا أنا وسامى ، سامى بقى فى
الجامعه عايز يذاكر فى هدوء ، وأنا عايز برضه أذاكر .

فقال سوسن فى تحد :

— من فلاحتك قوى ؟

فقال لها حسين ينهرها :

— عيب يا بنت .

ثم التفت إلى سامى وقال :

— الأوده دى للبنات .

فقال سامى متفلسفا ليظهر علمه واعتراضه :

— آدى اللى خدناه من قاسم أمين .

— ١٠ —

— وإيش حشر سى قاسم أمين جوز عمتك فى الموضوع ده ؟ الراجل
مسافر بره بقاله سنين .

فيلتفت حسين إلى زوجته ويقول شارحا :

— قاصده قاسم أمين محرر المرأة .

فقال زينب معترضة ضائقة بهذا الزعم :

— ما هي طول عمرها حره .

فقال مراد :

— ما هو الى تخن ودان الستات ، خلاهم يتعروا فى الشوارع

ويتعلموا ويتوظفوا ويتزنقوا فى الأتوبيسات .

فراحت زينب تلكزه فى صدره بقبضتها :

— اخرس يا قليل الأدب .

فلم يعجبه أن تحجر أمه على رأيه فقال فى انفعال :

— هي كل حاجه فى الدنيا بقت للستات ؟! والله لما أكبرلا انا عامل

جميعه تطالب بحقوق الرجال .

فقال عاطف دون قصد :

— وانت مالك ومال الرجال ؟

فاستشاط مراد غضبا ولولا وجود أبويه لضربه ، فراح يتوعده من

بعيد وعاطف يهزأ بوعيده ، كانت العيون وملاعج الوجه والشفاء هي

أدوات التعبير الصامتة التى ما كان للأبوين عليها سلطان .

ودار سامى على عقبه لينصرف غاضبا من ذلك القرار الجائر ،

— ١١ —

وذهبت زينب لتغطي هالة ، وفطن الأب إلى ضيق ابنه بقراره فقال :

— سامى ، تعال نتفاهم أنت ما بقتش صغير .

فعاد سامى إلى حيث وقف أبوه وإن ظل مطرقا لا يرفع عينيه عن الأرض . قال حسين :

— شوف يا سامى يا بنى ، إن واحده من إخوانك جت هى وجوزها

حبوا يياتوا عندنا يياتوا فين ؟

فقال عاطف فى حماس :

— يياتوا معايا ..

فجدبته أمه من رقبتة وهى تقول :

— ما بلاش غلبه ولم لسانك ده اللى عايز قطعه .

وقال مراد وقد فطن إلى ما يرمى إليه أبوه :

— وإيه اللى حيخليهم يياتوا عندنا ؟

— الظروف يا بنى بتحكم ، إن جم يياتوا عندنا ما فيش غير الأوده

دى يياتوا فيها ، وساعتها ناخذ سوسن وهاله فى أودتنا . فهمت يا

سامى ؟

فرفع سامى رأسه ونظر إلى أبيه فى رضا وقال :

— فهمت يا بابا .

وانسل سامى إلى غرفته وقد أخذ عاطف فى يده ، وتمددت سوسن

فى سرير أحلام وقد أركبت ساقا على ساق وهى تستشعر نشوة

الانتصار ، وذهب حسين إلى غرفته وتبعته زينب ، وبقي مراد ينظر إلى

— ١٢ —

سوسن في غيظ فلما رأتها قالت في شيطنة :

— يحيا قاسم أمين محرر المرأة .

فأسرع إليها مراد وأخذ اللحاف ليكتم به أنفاسها ، فإذا بها تهم

بالصياح :

— يا ماما .

ففزع مراد وألقى اللحاف من يده وفر مرعوبا إلى غرفة البنين .

وقفت زينب في المطبخ تغسل الصحاف التي تناولوا فيها الغداء ،
وجلس حسين يقرأ الصحف في الشرفة ، واجتمع الأولاد حول الراديو
يسمعون إذاعة وصف إحدى مباريات كرة القدم ، وإذا بعاطف ينسل
إلى المطبخ ويقول لأمه :

— رايح اتفرج على الكوره في التلفزيون عند الجيران .
فقالته له :

— بس ما تتشاقاشي .
وعرف أن ذلك تصريح له فراح يهرول خارجا ، فلقبته سوسن فقالت
له :

— على فين ؟
— ح اتفرج على الكوره في التلفزيون .
فانطلقت سوسن إلى أمها وقالت لها :
— ح اروح مع عاطف .
فقالته زينب وهي مستمرة في عملها :
— لأ .

— ١٤ —

- فذهبت سوسن إلى الشرفة حيث جلس أبوها وقالت :
- بابا ح أروح مع عاطف أنفرج على الماتش في التلفزيون .
- فقال لها دون أن يرفع عينيه عن الصحيفة التي كان يقرأ فيها :
- قولى لماما .
- فعادت إلى أمها وقالت لها :
- يا ماما أروح مع عاطف .
- فقال زينب في غضب :
- قلت لأيعنى لأ .
- فقفلت سوسن عائدة إلى أبيها وقالت :
- يا بابا ح اروح مع عاطف .
- قلت لك استأذنى من ماما .. أنا ماليش دعوه .
- فقال سوسن لتثير كرامته :
- إنت عايز تقول إنها بتمشى كلامها عليك !
- يا سوسن لازم تعرفى إن هى المسقولة عن البيت ده .
- وانسحبت وهى تستشعر أن أباهما قد خذلها ، وعادت إلى المطبخ وقالت لأمها فى توسل :
- والننى يا ماما أروح مع عاطف .
- فأخذتها زينب بين يديها وهزتها فى عنف وهى تقول لها فى غضب :
- هو أنا ميت مره ح اقول لأ .
- فانطلقت غاضبة إلى حيث جلس أبوها وقالت منفجرة :

— ١٥ —

- مش ح تطلق الست دى بقى وتريجنا .
- ونحى حسين الصحيفة بعيدا ونظر إلى سوسن وهو يتصنع الغضب
- وإن كانت كل ملامحه تفصح حقيقة ما يحسه من انبساط ، وقال :
- إنت عارفه لو ماما سمعتك ح تعمل فيكى . إيه ؟
- عارفه .
- طب وقولتى كده ليه ؟
- طهقت .
- وخرجت زينب من المطبخ فرأت سامى ومراد ينصتان إلى الراديو فى
- اهتمام ، فوقفت ترنو إليهما فى حنان ثم قالت :
- بقى لو كان الماتش بيتذاع م التلفزيون مش كان أحسن .
- فقال مراد بسخرية :
- لو .. هو فين التلفزيون ده ؟
- اطلبوا من بابا يجيب لكو تلفزيون .
- فقال سامى فى إنكار :
- هو ده معقول ؟
- مش معقول ليه ؟ هو بابا عمره اتأخر لكو على حاجه .
- فالتفت مراد إلى سامى وقال له :
- روح يا سامى قول لبابا يجيب لنا تلفزيون .
- ما تروح انت .
- لأ .. انت أكبرنا ما يصحش اتقدم عليك .

— أنا يا سيدى متنازل لك عن حقى ده .

فنهض مراد وراح يللم شجاعته وذهب إلى حيث كان أبوه وأمه
ترقبه من بعيد ، كان حسين قد أجلس سوسن على ركبتيه وكان يحاورها
وكان حديثها فيه ذكاء جعل نفسه تصفو وقد انعكس صفاء وجدانه على
صفحة وجهه ، فلما قرأ مراد الرضا فى ملاح أبیه شد ذلك أزره فقال :
— بابا .

— نعم يا مراد ؟

— عايزين تلفزيون .

وأحس مراد كأنما أزاح جبلا عن صدره ، ولكن سرعان ما انكمش
لما سمع أباه يقول فى غضب :
— بلاش مسخرة .

وكأنما فتح أمام سوسن بابا لم يخطر لها على بال فقالت :

— مش ده يا بابا أحسن ما نروح عند الجيران .

وأنزلها من على ركبتيه وقال لها :

— روحى بلاش غلبه .

ورأت زينب أن الوقت أصبح مناسباً لظهورها على مسرح
الأحداث ، فدخلت عليهم وهى تتظاهر بالبراءة وقالت :

— فيه إيه ؟

استراح حسين لدخولها ولم يدر أنها القشة التى يتعلق بها الغريق فقال

— كأنما يلوذ بها ويلتمس منها العون :

— ١٧ —

— تعالى شوفي ولادك عايزين إيه ؟
ولحق سامى بهم وإذا بسامى ومراد وسوسن يقولون فى صوت
واحد :

— تلفزيون ..

وفى فزع يلتفت حسين إلى زوجه ويقول كأنما يستغيث بها :

— عاجبك كده ؟

فقالت زينب فى هدوء :

— ربنا يخليك لهم .

وأحس أنها خذلته فقال فى ثورة :

— يخلينى ؟! وحجيب منين ؟

لمعت فى ذهن سامى فكرة فقال :

— نشتره بالتقسيط .

وقال مراد :

— بالتقسيط المريح .

والتفت إليه الأب وقال ساخرا :

— بالتقسيط المريح ؟ وندفع القسط منين ؟

فقالت سوسن :

— من مصروفنا .

وقال مراد مؤيدا :

— من مصروفنا .. مش كده يا سامى ؟

(الحفيد)

— ١٨ —

فقال سامى وهو يهز رأسه موافقا :

— كلنا موافقين طبعاً .

ولم يشأ حسين أن يهزم فقال :

— نفرض إننا ح نوافق على الكلام الفارغ الى بتقولوه ده ، ط

المقدم ندفعه إزاي ؟

وحسب الرجل أنه وضعهم أمام مشكلة ، فإذا بالزوجة تقول :

— أنا عامله جمعيه من الجيران وقبضتها .

فقال مراد فى فرح :

— برافو يا ماما ، يا أحسن ماما فى الدنيا .

وأسقط فى يد الزوج فقال غاضبا :

— لا ، دى مؤامره .

وأيقنت زينب أن كل شىء قد أحكم فقالت وهى تنسحب .

الداخل :

— أنا مالى .. ولادك عندك اتصرف فيهم .

وغادرت زينب المكان فالتفت حسين إلى أولاده وقال :

— والمذاكرة ؟

— قبل الامتحانات بتلات شهور ما حدش ح يفتح التلفيز

خالص .

وقال سامى مردفا :

— ١٩ —

— ده وعد شرف .

فقال حسين وهو يغادر الشرفة :

— ده كلام فارغ .. دى مسخره .. التلفزيون مش ح يدخل البيت

ده أبدا طول ما أنا عايش .

٣

وضع التلفزيون في الصالة والتف الأولاد حوله وقد ارتسم البشر في وجوههم ، وراحت زينب ترنو إليهم في فرح فقد نجحت في أن تحقق لهم أمنية غالية . وما شد عنهم سوى هالة ، كانت تداعب عروسة صنعتها لها أمها من خرقة بيضاء وبعض القش الذي تجمع لديها .

كان التلفزيون يعرض فيلما أجنيا فلم يستحوذ على كل انتباههم بل ترك لهم فرصة الحديث والحوار ، قال مراد :
— والله أنا اقدر أخلى التلفزيون ده سكوب .

فقالت زينب في سخرية :

— أيوه ، خسر زى ما خسرت الراديو .

فقال مراد مدافعا عن نفسه :

— الحق علىّ الى صلحته لكم .

فقالت زينب في مرارة :

— كتر خيرك ، مش عايزينك تصلح حاجه .. ريح نفسك وريحنا ..

تعرف لو تلعب في التلفزيون مش ح يحصلك طيب .

ورن جرس الباب الخارجى فنهضت سوسن وقالت في فرح :

— ٢١ —

— بابا .. بابا .

وجرت إلى الباب وفتحته ، وما كاد يخطو إلى الداخل خطوة حتى قالت له في انشراح وهي تجذبه من يده :

— تعال اتفرج على التلفزيون .

ودخل على الأولاد وقد جلسوا يتابعون الفيلم فألقى عليهم نظرة ارتياح وقال :

— السلام عليكم .

ولم يرد عليه أحد السلام بل قال له عاطف :

— هش .

وفي صمت أفسحت زينب له مكانا إلى جوارها فتقدم وجلس ، وأدار عينيه في المكان فلمح هالة تلعب بعيدا فقال في عتاب :

— هي هالة بس اللي مالهش نفس !

وذهب إلى حيث كانت هالة وحملها في حنان وقبلها ثم عاد وأجلسها في حجرة وراح يوجه نظرها إلى التلفزيون ، فإذا بالطفلة ترتجف وتصرخ في فزع ، ولفت خوفها أنظار إخوتها فانفجروا يضحكون .

ونفضت زينب وأخذت الطفلة وضمتها إلى صدرها تسكيناً لروعها وراحت تهدهدها وتقول لها في حنان دافق :

— اسم الله .. ما تخافيش يا روحى .

واستكانت الطفلة في حضن أمها ، وكأثما عز على زينب أن تظل واقفة فقالت :

— ٢٢ —

— انتو مش ح تتعشوا ؟

فقال سامى :

— هاتى لنا العشا هنا .

ونظرت إلى زوجها فإذا به يهز لها رأسه موافقا فقالت :

— تاكلوا إيه ؟

فقال حسين فى عدم اهتمام :

— اللى تجيبه ، اللى عندك .

— أنتوح تحيرونى ! ما تقولوا تاكلوا إيه ؟

فقال مراد :

— بيض .

فقالت كما اعتادت أن تقول :

— هو كل يوم بيض ؟ هو انتو تعابين ؟

فقال حسين مؤيدا رأى مراد :

— والله البيض ألذم الفراخ .

— أعمله لكم سندويتش ؟ !

فقال سامى معترضا :

— لأ .. أنا احب اغمس .

وقال عاطف :

— وانا .

ومدت يديها بهالة إلى حسين وقالت :

— طب خد بنتك على ما احضر العشا .

وذهبت إلى المطبخ وعادت تحمل صينية عليها صفحة قلى فيها البيض وصحاف الجبن والزيتون وضعتها على منضدة صغيرة بينهم وبين التلفزيون . وراحوا يأكلون ويتابعون الفيلم . وأبت هالة أن يطعمها أبوها وأصررت على أن تأكل بيدها . وراحت تأكل فلما وجدت أن أصابعها قد تلوثت بالبيض تلفتت حولها فلم تجد أقرب من كرافته أبيها تمسح فيها يدها ، فلم تتردد بل قبضت عليها وراحت تفركها بين أصابعها .

وفزع الأب وقال :

— إيه ده ! .. إيه ده يا بنت ؟

وأحست هالة أنه ينهرها فبكت ، فما كان من زينب إلا أن خطفتها منه وضمتها إلى صدرها وهى تقول له :

— خضيت البت .

فقال حسين وهو يحاول أن ينظف الكرافته بمنديل أخرجه من جيب بنطلونه :

— هو انا لاقيا منها واللا من سامى !

فقال سامى فى استياء :

— وماله سامى راخر ؟

— هو انت مخلينى اتهنى على كرافته .

— حتى أنا ما بالبسى كرفنات .

— ٢٤ —

— ويوم الخميس والجمعه ؟

— إليه يعنى يومين فى الجمعه .

وينظر حسين إلى المنديل الذى اتسخ ويرى أن يغيره ، فيذهب إلى
غرفة النوم ويفتح الدرج الذى يضع فيه المناديل فيجده خاويًا ، فيعود
ثائرا ويقف عند الباب ويقول :

— ولا منديل فى الدرج ! آمال المناديل راحت فين ؟

فتقول سوسن دون أن تلتفت نحوه فقد كانت تحاول أن تتبّع الفيلم :
— أنا شفت سامى وهو يياخد منديل الصبح .

فتقول زينب :

— أنا حطه ثلاث مناديل مكويه بإيدى .

فيقول حسين فى غضب :

— طب الباقى راحوا فين ؟

فتقول سوسن فى بساطة :

— عاطف خد واحد وأنا خت واحد .. يعنى نروح المدرسه من غير

مناديل ؟

فيقول حسين وقد خفت حدة غضبه :

— ما شاء الله ! .

ويذهب حسين ويجلس ليتابع القصة ، وما كاد يستقر فى جلسته
حتى قال له مراد :

— يا بابا انت مش ح تشتري لك شرايات ؟

فقال حسين في هدوء :

— عندى شرابات كثير .

— لأ .. ما عندكش .

— وإيش عرفك يا سى مراد ؟

— جيت آخذ شراب الصبح ما لقيتش .

يلتفت حسين إلى زينب فتحس أن في نظراته عتابا . فتسرع بالدفاع
عن نفسها :

— والله شراباتهم ومناديلهم في ادراجهم ، بس هم اللي عنيم زايغه .
وساد الصمت ، كان يعرض على شاشة التلفزيون منظر غرامى .
وخفق قلب حسين ، كان يرجو أن ينتهى المشهد سريعا ولكن المشهد
طال وانتهى بقبلة بين البطل والبطله . ومن طرف عينيه راح يراقب
أولاده .. رأى سوسن وعاطف قد أطرقا فى خجل أما سامى ومراد فقد
أخذتا يتابعان المشهد بكل حواسهما . والتقت عينا حسين بعيني زينب
وما لبث حسين أن نهض وانصرف إلى غرفة النوم فقامت زينب وقلبها
يدوى فى صدرها وخوف قد غمرها وتبعته ، فلما أحس دخولها قال لها
فى عتاب .

— عاجبك كده ؟ عاجبك الخساره دى ؟

— خساره إيه ؟ أنا ما اخفشى على ولادى ، أنا ولادى مؤدين ،

شفت سوسن وعاطف عملوا إيه ؟!

وراحت حوادث القصة تتابع على الشاشة والأولاد يتبعونها فى

— ٢٦ —

اهتمام ، فالقصة قد استولت عليهم وإن كانوا لا يفقهون من الحوار الدائر
بين الممثلين شيئا .

وعاد البطل يقبل البطلة فإذا بعاطف يلکز سوسن بمرفقه ويقول في

إنشراح :

— علّقها !

٤

وقف حسين أمام المرأة يخلق ذقنه ، وسمع وقع أقدام بالقرب منه
فالتفت فرأى مراد وفي يده صحيفة فقال :

— هو الجرئال جه يا مراد ؟

— أبوه يا بابا .

— طيب تعال اقرا الى صفحة الوفيات ، يمكن نعرف حد فيهم .
ففتح مراد صفحة الوفيات وتقدم حتى وقف إلى جوار أبيه ، وقبل أن
يفتح فمه قال له حسين :

— اقرا الى مكتوب بالبنط الأسود كفايه .

فراح مراد يقرأ :

— مجلس مدينة بلبيس .. مدرسة التجارة الثانوية بقطور .. الحرية
الثانوية التجارية للبنات بشبين الكوم .. اللجنة النقابية للمعلمين ببندر
بها .. أسرة مدرسة النصر بطلمخا .. معهد دمياط الأزهرى .. مدرسة
سلامون قبلى للبنات .

— إيه ده يا مراد .. باقول لك صفحة الوفيات مش صفحة التربية

والتعليم !

— ٢٨ —

— ما هي دى يا بابا صفحة الوفيات ، وده المكتوب بالبنط الاسود .

— طب سيب الجرنال واتفضل انت .

وترك مراد الصحيفة وانصرف ، وما كاد مراد يخرج حتى دخلت

زينب وقالت فى هدوء :

— أحلام وجوزها وحماها وحماها ، ونبيلة وجوزها جاين يتغدو

عندنا يوم الجمعة .

وترك حسين الحلاقة والتفت إليها وقال :

— مين اللى قال لك ؟

— أحلام بعثت لى .

— قالت لك إنها هي واختها جاين في يوم واحد ؟

— أيوه .

ونظر إليها فاحصا ثم قال نافذ الصبر :

— والله انت اللى روحتى عزمتهم .

— أنا .. أبدا والنبي دنا يا ذوب خطفت رجلى امبارح ورحت دفعت

قسط التلفزيون .

— وبعثت لك أحلام إمتى ؟

— امبارح العصر .

— وما قتلش بالليل ليه ؟

فقالت وهي تدور على أعقابها لتصرف :

— قلت ما انكدش عليك قبل ما تنام .

وقبل أن تنصرف جاء سامى وقال :

— عايز تلاته جنيه .

— تلاته جنيه .. ليه ؟

— كتاب جديد نزل امبارح فى الكليه .

— هو كل يوم ملازم جديده وكتاب جديد .

— ما هى الجامعه كده يا بابا .

وجاء عاطف يعدو وقال :

— عايز قرش .

فالتفت حسين إلى سامى وعاطف وزينب وقال :

— انتم مش قلتوا ندفع أقساط التلفزيون من مصروفكم .

فقال عاطف وهو يرفع كتفيه نافيا :

— أنا ما قلتش .

وذهب حسين إلى حيث علق بذلته وأخرج حافظة نقوده وأعطى

سامى ثلاثة جنيهات فانصرف شاكرا ، وأعطى عاطف قرشا فراح

عاطف يقلب القرش فى يده ، ثم رفع رأسه ينظر إلى أبيه وقال :

— انت مش شايف يا بابا إن القرش ما بقاش يشتري حاجه ؟

فقال حسين وهو يدفع ابنه لينصرف :

— قول كده للحكومه .

وراح حسين يرتدى ملابسه ، وأرادت زينب أن تخفف عنه فقالت :

— عندى كام زغلول فى السطح أدبجهم وكام فرخه ، أهم يسدوا

خانه يوم الجمعة .

— تفتكرى دول يكفوا مصطفى علوان ؟ دا عايز له هم كثير .

— كله يدبر .. ديك رومى نخطه فى وسط السفرة ، وكام فرخه

وكام حمامه ، وشوية بفتيك وصينية رقاق ، ونحشى شوية وزق عنب ،

وكان الله بالسر عليم .

— ولازم الديك الرومى ده ؟

— دى أول مره يتغدوا عندنا ، عايزهم يقولوا علينا إيه ؟

وأطرق حسين قليلا ثم قال :

— وح يحلوا إيه ؟

— هات معاك بالمره كام كيلو موز وكام كيلو برتقال ، وأنا عندى

لبن ح اعمل رز بلبن .

وهز حسين رأسه يأسا وسخرية وذهب إلى مكتبه . كان يكتب

أرقاما فى ورقة . إنها الأثمان التقريبية للأشياء التى سيشترىها . ولما انتهى

من كتابة الأرقام وجمعها أخرج من جيبه حافظة نقوده وأخذ يعد ما بها

ليطمئن إلى أن ما بقى معه يكفى لشراء ما أملى عليه .

وأعاد الحافظة إلى جيبه وشرذ مفكرا فإذا بصورة زينب تطفو على

سطح ذهنه ، وإذا بصوتها يرن فى وجدانه : والنبي لولا تدبيرى ما كنا

قدرنا نعيش .. وكادت تستولى عليه كآبة إلا أنه نهض وهز رأسه فى عنف

كأنه كان يطرد الأفكار السوداء التى كادت تهاجمه لتفترسه . وأراد أن

يسمع نفسه صوت الرضا والاستسلام فقال فى صوت مسموع :

— الله جاب الله خد .. الله عليه العوض .

وفي العصر كان حسين وأولاده في السوق : حسين عند الخضرى ،
وسامى عند الفاكهى ، ومراد في الجمعية التعاونية ، وعاطف عند مخبز
قريب من البيت . وعادوا جميعا إلى الدار وهم يحملون ما اشتروه .. ورن
جرس الباب فأسرت سوسن وفتحته فإذا بحسين يدخل وهو يحمل
لفائف بها بطاطس وقوطه وبسلة وجزر وقد أسند اللفائف بيده إلى
صدره وفي يده الأخرى كرنبة ، وإذا بسامى يحمل موزا وبرتقالا ،
ومراد يحمل ورقا به اللحم ، وعاطف قد رفع على رأسه كيسا به خبز .
فلما رأت سوسن أياها صاحت :

— كرنب .. كرنب يا ماما .

فجاءت زينب مسرعة ، فلما رأت زوجها يكاد يختفى خلف ما
يحمل قالت :

— شاييل كل ده !؟ إن شا الله ما انشال ولا اتاكل .

وأسرت تأخذ الكرنبة من يده وتخفف عنه بعض ما يحمل ،
وسارت إلى المطبخ وهي تقول :

— كان لازم يعنى الكرنب .. هو كان وجهه ؟

— ما لقيتش ورق عنب .

— ما كانش لازم .

ووضعت الأم الأشياء في المطبخ ، وما كاد حسين يأخذ نفسه حتى

قالت له :

— ٣٢ —

— والنبي يا حسين تروح تغير هدومك وتيجي تساعدني في تقشير البطاطس والجزر ، وانت يا سامي تفصص البسلة عبال ما اسلق الكرنبة .

فقال سامي :

— أنا عندي مذاكره .

— يعني حبكت النهارده ؟!

— خلى مراد وسوسن يفصصوها .

— مراد وسوسن ح يقشروا البصل .

قال مراد :

— اشمعنى أنا الى اقشر البصل كل مره ؟

— عشان تنضف الخبز الى دايم في صوابك .

وذهب حسين إلى غرفته وسرعان ما عاد ولبس فوطة المطبخ وراح يقشر البطاطس والجزر ، وترك مراد البصل ، وانسل الأولاد ليشاهدوا التلفزيون .

ووضعت الحلل على النار ، وخرج حسين وزينب من المطبخ ييدو

عليهما الإجهاد ، ونظرت زينب إلى حيث تجمع الأولاد وقالت :

— كفايه لعب بقى تعالوا نوضب السفرة . اعملوا حاجه نافعه مره .

فقام الأولاد في تكاسل وذهبوا للمعاونة في إعداد المائدة ؛ إن مائدتهم

صغيرة لا يمكن أن يجلس حولها كل المدعوين غدا فراحوا يفكرون في

وسيلة يمدون بها المائدة ، فأتوا بمائدة المطبخ ووضعوها إلى جوار مائدتهم

— ٣٣ —

- وغطوا المائدتين بمفرش أبيض .
ووقفت زينب تعد الكراسى ، ولما كانت تعرف تماما عدد الذين
سيجلسون حول المائدة قالت فى سرعة :
— ناقص أربع كراسى .
ووقف حسين مفكرا وقال :
— وإيه العمل دلوقت ؟
— ولا حاجة ، بكره نستلفهم من الجيران .
وقالت لسوسن :
— عدى ياسوسن الشوك والسكاكين .
وبعد لحظة قالت :
— والا بلاش ، أنا عارفه انهم مش ح يكفوا ، نستلف شوك
وسكاكين الجيران .
فقال حسين متبرما :
— هو كله من الجيران ؟
— يا سيدى الناس لبعضها .
وراح عاطف يعد الأكواب فإذا بكوب يسقط من يده ويتشم ،
فقال زينب :
— إيه ده يا مقصوف الرقبه ؟
— كنت باعد الكويتيات .

(الحفيد)

— ٣٤ —

— مين قال لك تعدد م ، ميت مره قلت لك ما تمدش إيدك على
حاجه ، مره ثانيه تكسر حاجه ح اكسر رقبتك .
فرماها عاطف بنظرة غاضبة وقال :
— ماتشخوطيش في كده . انتي عايزه تعقديني .

اجتمع الجميع حول مائدة الطعام ؛ كان حسين على رأسها وعن يمينه مصطفى علوان ثم زوجته ثم أحلام و جلال ، وعن يساره شفيق فنييلة فسوسن فزينب — لتكون قلب المائدة التي تقوم بتوزيع الطعام ذات اليمين وذات الشمال — فسامى وقد جلس قبالة مراد ، وعلى رأس المائدة من الجهة المقابلة جلس عاطف يتنازعه أكثر من انفعال ، إنه لا يدري أجلس في ذلك المكان ليعبد عن الطعام أم تكريما له ؟

وراحت هالة تدور حول المائدة ، إنها حائرة لا تعرف مكانها . كانت الأم تحسب أن كسرة خبز أو دهبوسا من حمامة سيلهيها عنهم ؛ ولكن اتضح أن هالة لن ترضى بأقل من أن تجلس على كرسي خاص بها مثلهم . فذهبت إلى حيث كان يجلس أبوها ، فلما رآها حملها ليجلسها في حجره ، ولكنها أبت وهمت بالبكاء فإذا بمصطفى علوان يتلفت فيرى أكرسيا خاليا فيقوم ويحضره ويضعه بينه وبين حسين ، ويحمل هالة ويجلسها عليه وهو يقول :

— دول بركه ، داربنا بيرزقنا برزقهم .

ونهضت زينب وتناولت شوكة وسكيننا وراحت تحاول أن تقطع

— ٣٦ —

الديك الرومى الذى توسط المائدة ، فراح مصطفى علوان يرقبها وقد تحلب ريقه . إنه لا يستطيع أن يكبح شهوته للطعام حتى تنتهى زينب من التقطيع ، فنهض وقال وهو يمد يديه ليحمل الصفحة والديك :
— عنك انتى يا ست .

ولما أصبح الديك أمامه راح يمزقه إربا إربا بيديه وهو يستشعر لذة العبث فى لحم طرى ، ثم أخذ يوزع على الجميع أنصبتهم . فلما هم بوضع قطعة أمام أحلام أدارت وجهها اشمئزا وقالت :

— بلاش يا عمى ، أنا مش طابقه آكل لحمه واللا أشم ريحتها .
وتهلل وجه زينب بالفرح .. فطنت إلى أن ابنتها تتوحم ، لقد حملت أحلام دون أن ترف إليها البشرى السعيدة التى كانت تنتظرها ، فرنت إليها فى حب وحنان وقالت :
— أجيپ لك حاجه تانيه ؟

فقالت أحلام :

— حنت جنبه قديمه إذا كان عندك .

— عندى يا حبيبتى .

وغادرت زينب المائدة وهى تكاد تطير من الفرح ، وغابت قليلا ثم عادت تحمل قطعة من الجبن وضعتها أمام ابنتها .

— اتفضلى يا حبيبتى .

واستمر مصطفى فى توزيع الأنصبة فوضع أمام زوجته أطيب ما فى الديك ، ووضع لعاطف قطعة صغيرة، فراح عاطف ينظر إليه نظرات

تنطق بعبارات واضحة « هي دي الي هانت عليك ؟ هو ديك أبوك ؟ »
ولم ينس بالطبع نفسه فقد خصها بطبلة الديك ونصفه الأسفل .
ونظرت إليه زينب وقالت في مجاملة :

— انت ما خدتش حاجة .. خدت العضم .
فقال مصطفى علوان وهو يدس في فمه أسمن ما في الديك :
— أصل أنا أحب اممصص العضم .
وقال حسين مداعبا :

— ما ينوب الي بيقسم إلا مصمص صوابه .
وانهمك الجميع في الأكل وكانت زينب تصوب عينها إلى نبيلة ، فإذا
ما التقت الأعين كانت تشير لها برأسها إلى أحلام ؛ كانت تسألها عما إذا
كانت قد حملت مثل أختها . وقد فهمت نبيلة ما تقصده أمها فهزت
رأسها نفيا ، فظهر القهر في وجه الأم ولوت شفتها السفلى ووسعت
عينها وهزت حاجبها وصعرت خديها ، وفهمت نبيلة أن أمها تقول لها
يا خاييه .

والتفتت سوسن إلى نبيلة وقالت لها :
— والنبي يا نبيله وانتى يا أحلام ما تبقوش تغييوا علينا كده .
فأشرق وجه نبيلة بابتسامة ومالت على سوسن ولولا أن فمها كان
مملوءا بالطعام لقبلتها ، وقالت لها :
— وحشناك يا روحى ؟
فقال سوسن في بساطة :



— لأ . أصل احنا ما بنشوفشن الأكل د إلا لما بتيجوا .
وارتبك حسين ، ونظرت زينب إلى سوسن نظرة غيظ ، وظهر
الغيظ في وجه أم جلال ، وارتبكت أحلام ، وراحت نبيلة تلكر أختها في
جنبها لكزات خفية ، أما مراد فقد ضحك في براءة فإذا بأمه تصوب إليه
نظرات نارية فقطع ضحكه فجأة .
وقام عاطف يللم العظم من على المائدة ، فصاحت أمه فيه قائلة :
— بتعمل إيه يا ولد ؟
— بلم العضم للكلب ، والا يعنى انتو تاكلوا وهو ما ياكلش .

— سيب ده دلوقت .

وتمطى مصطفى علوان والتفت إلى زينب وقال :

— إيد ما نعدمها .. كان يوم مبروك يوم ما جيتي وعزمتينا .

وطرق قوله رأس حسين طرعا عنيفا فالتفت إلى زينب وكانت ترقبه
بطرف عينها ، فلما رأت كل ملامحه تصرخ فيها : بقى كده ؟ انكمشت
وراحت تنظر إلى بقايا الطعام التي أمامها . وأحست أن ذلك ليس
كافيا ؛ إنها تريد أن تفر من المكان فنهضت وراحت تلملم ما على المائدة
من صحاف وشوك وسكاكين لتختفى قليلا في المطبخ حتى يسكن روعها .
وأسرع سامى يضع على المائدة صحاف الموز والبرتقال ، فلما عادت
زينب ورأت ذلك قالت :

— تحلو بالرز بلبن قبله ؟

فقالت أم جلال :

— كفايه كده .. الخير كثير .

فعادت زينب إلى مكانها ، وكأما أرادت أم جلال ألا يتبى الغداء
دون أن تنغز زينب ، فقالت :

— سايه نفسك كده ليه يا ست زينب ؟ مش شايفه إنك زدتي

كثير !

وأحست زينب لسع نقدها يشويها ، إنها كانت تزهر برشاقتها ..
وها هي ذى حماة ابنتها التي شد جلدها على عظمها تسخر منها . وضافت
زينب بتلك السخرية ولكنها كتمت غيظها وأمسكت لسانها .

— ٤٠ —

وقال مصطفى علوان مداعبا :

— ما هو اللي ياكل الأكل ده لازم يسمن ..

ورأت زينب الفرصة سانحة لتسخر من حماة ابنتها فقالت :

— فيه ناس الأكل ما طرح ما يسرى يمرى ، وفيه ناس زى العرسه

تاكل وتنسى .

وظهر الغيظ في وجه الحماة ، ولم تر منفسا له إلا أن تنهض وتغادر

السفرة ، فإذا بالجميع ينهضون ويخرجون إلى الصالة وزينب تسأل كلا

منهم :

— قهوه ولا شاي .

وجلسوا يشربون القهوة ويتسامرون ، ونظر شفيق في ساعته وقال :

— ماتش الكوره .

فنهض حسين وضغط على زرار التلفزيون ، وبعد لحظات ظهرت

الضورة كشريط في منتصف الشاشة فقال حسين في فزع :

— إيه ده ؟ مين اللي عمل كده ؟

فقالت سوسن ، جهاز الإذاعة المنزلية :

— مراد عمله سكوب .

وقال جلال :

— بسنيطه .. زرار من ورا يعدل الصوره .

ونهض جلال ليصلح التلفزيون وإذا بشفيق يقول له :

— إيه رأيك يا جلال نروح النادى نتفرج ع الماتش .. أنا ونبيله و انت

— ٤١ —

وأحلام .

فصاح عاطف :

— وانا .

وإذا بزینب تقول :

— لا والنبی ، بلاش أحلام ، بلاش تتمخض الیومین دول .

انقضى الليل وزينب تثقل في فراشها لا تغمض لها عين . إن قول
حماة ابنتها « سايه نفسك كده ليه يا ست زينب ؟ مش شايفه إنك زدقي
كثير » يلهب عواطفها ويخز روحها وخزائها . إنها تستشعر أن جسمها
قد امتلأ وأنها فقدت كثيرا من رشاققتها ولكنها ما كانت تظن أنه سيأتي
ذلك اليوم الذي ستكون فيه بدانتها موضع سخرية ، وما خطر لها على
قلب أن تصبح هدفا لهرء حماة ابنتها .

حاولت أن تغمض عين أفكارها عن ذلك القول إلا أن الصوت
الهازع كان يفح في أعماقها فحيح الأفعى ، وصورة المرأة قد انفرج فمها
عن ابتسامة صفراء لم تثن عن مرقدتها . إنها باتت تتعجل النهار لترى
رأيها في هذه السمينة وتعمل على إزالتها .

وأحس حسين ثقلها ذات الشمال وذات اليمين فطار النوم من عينيه
ولم يشأ أن يحادثها لعلها تنام ؛ ولما وجد أنها مستمرة في قلقها قال لها :

— مالك يا زينب قلقانه ليه الليلة دى ؟ بتفكرى فى إيه ؟

وهمت بأن تفضى إليه بحقيقة ما يشغلها ولكنها وجدت أن الأوفق أن
تصبر حتى تجد الحل لمشكلتها ، فقالت لتفر من هواجسها :

— ٤٣ —

— بفكر فى أحلام .. بتتوحم على تفاح .

بتفكرى فى أحلام واللا فى نفسك .

ودق قلبها فى صدرها خوفا . ترى هل استشف من قلقها شيئا ؟
وسرعان ما انقشع ذلك الخوف لما قال لها :

— خايفه تبقى جده ؟

— جده !؟ هو عشان ما اتجوزت صغيره ، حلوه دى .. أنا طول

عمرى ح ابقى ماما زوزو وانت بابا حسين .

وراح يداعبها وهو يقول :

— أنا جدو حسين .

— لأ والنبي ما تقولش كده لاحسن بيتها لى إنك بقيت راجل
مكركب وماشى على عصايه .

وأشرقت الشمس وأسرعت سوسن إلى الحمام وأغلقت خلفها .
وجاء سامى وعلى كتفه القوطة وراح يفتح باب الحمام ، فلما علم أن
سوسن بداخله قال متأففا :

— هو احنا خلصنا من نبيلة طلعتى انت لنا ؟

وكانت زينب فى طريقها إلى المطبخ ، فلما سمعت قوله قالت :

— والله هى الى استريحت من وشك .

فقال سامى فى استسلام :

— يا فتاح يا عليم .

وسمع طرق الحذاء على الباب فصاحت زينب :

— ٤٤ —

— مراد ، افتح لـاخوك الباب .

وقام مراد يتمطى ، فأنلته قد خرجت من تحت بنطلون البيجاما
وتدلت من الجاكتة ، وذهب إلى الباب وهو بين النائم واليقظان وفتح
فإذا بعاطف يدخل مهرولا ويقول :

— جبت بيضتين من عند الفراخ .

فخرجت زينب من المطبخ وقالت فى إنكار :

— بس ؟

فقال عاطف يفسر لها السر :

— ولقيت فى العشه قشر كثير .

ونادت زينب فى غضب :

— مراد .. سوسن .

وخرجت سوسن من الحمام وذهبت إلى حيث كانت أمها فى
الصالة ، وجاء مراد وهو يسبل عينيه كأنما يخشى أن يستيقظ ، وقالت
لهما الأم :

— مين فيكو الى طلع شرب البيض ورمى القشر ؟

فقال مراد فى بساطة :

— أنا .

— تبقى حرامى .

— لأ ما ابقاش حرامى ، أنا شربت نصيبى ، ولا يعنى يطلع عاطف

كل يوم يلهف البيض وحده .

فقلت زينب لتهى الموضوع :

— أنا ح اءب قفل للعهه .

ووضعت صينية على مائدة الصالة عليها علب الجبن والزيتون
والحلاوة الطحينية ، ووضع إلى جوارها خبز فجاء الأولاد يأكلون .
راح سامى يتناول إفطاره فى عجلة وهو واقف وفى يده كتاب يقرأ فيه
فقلت له الأم :

— ما تقعد تاكل يا سامى ، والا عايز الأكل ينزل فى رجلك ؟

فابتسم سامى ابتسامة خفيفة ساخرة ، ثم انصرف فقلت له الأم :

— باقول لك اقعد مش باقول لك امشى .

وجاء عاطف وفى يده بيضة سلقها وراح يقشرها ، فلما انتهى منها
خطفتها سوسن ودستها فى فمها فراح عاطف يصرخ ويكى ، فجاء أبوه
وقد ارتدى ملابسه وقال له :

— بس بلاش عياط .

فاستمر عاطف يكى ويشير إلى فم سوسن :

— البيضة .. البيضة ..

— طب اسكت وخذ قرش .

فكف عاطف عن البكاء ومد يده وقال :

— هات .

وأخذ عاطف القرش واندفع خارجا ، وانصرف الجميع ولم يبق فى
الدار غير زينب فذهبت إلى الشرفة ووقفت ترقب شرفة جارتها ، فلما

— ٤٦ —

- لحيتها حيتها ثم دار بينهما حوار ، قالت زينب :
- مش عارفه اعمل إيه ؟ ما باكلش وعماله اتخن .
- نخسسي روحك .
- ياريت ! بس ازاي ؟
- فيه صابون بيخسس ..
- هو فين ده ؟
- في بلاد بره ولسه ما جاش .
- يعني ح استنى لما ييجى .
- لأ ياختى ، فيه حبوب بتخسس في شارع الشواري بس غاليه موت .
- ولم تنتظر . انسلت من الشرفة وانطلقت إلى شارع الشواري . وعادت إلى البيت وراحت تخلع ملابس الخروج ، وإذا بجرس الباب يدق دقا مستمرا . إن إصبعها ضغطت على الزر ولم ترتفع عنه فصاحت في ضيق :
- طيب يا سوسن جايه .. جايه أهه .
- وفتح الباب ودخلت سوسن فقالت لها أمها تنهرها :
- ميت مره قلت لك ما تحطيش إيدك ع الجرس على طول .
- وعادت زينب تستأنف خلع ملابسها وإذا بالجرس يرن في رفق .
- فقالت زينب :
- سوسن افتحي الباب ، بابا جه .

— ٤٧ —

ودخل حسين فوجد زوجته تقلع ملابس الخروج فنظر في دهشة
وقال :

— إنتى خرجتى ؟

— خرجت ادور على حبوب التخسيس .

— حبوب التخسيس ١٩

فقال في عتاب :

— إنت ما سمعتش أم جلال قالت لى إيه ؟ عصا عيص النقريه

بتمسخر على .. أنا .. أنا لازم اخس يا حسين .

— يا زينب اعقلي .

— أنا اتفقت مع الراجل خلاص ، قلت له يحضر لى الحبوب عبال ما

اجيب له الفلوس .

فقال فى سخرية :

— وكام الفلوس دى ؟

— الكورس بعشره جنيه .

فقال وهو يخلع كرافتته فى غيظ :

— وح تخدى كام كورس ؟

— سته بس يا حسين .

— يعنى ح ادفع ستين جنيه عشان تخسى ، ويا تخسى يا متخسيس !

فقال فى صوت فيه نحيب :

— يعنى مستخسر فنى ستين جنيه بعد العشره الطويله دى كلها ؟

— ٤٨ —

— لأمش مستخسرهم .. بس أجيبهم منين ؟
 — استبدل لي جنيه من المعاش .. اشمعني استبدلت لأحلام .
 وارتفع صوت حسين ، قال في انفعال :
 — أستبدل لك جنيه ؟ لما جوزت أحلام قلت في الطلب إني ح اجوز
 بنتي ، أقول إيه في الطلب بتاعك ؟ أقول عايز استبدل جنيه عشان
 أخسس مراتي ؟!
 ووصل صوت الأب إلى مسامع سوسن فجاءت ووقفت تسترق
 السمع ، سمعت أباها يقول :
 — ده كلام فاضى .. دى قله عقل .
 فقالت زينب وهى تبكى :
 — ده جزائى .. دى آخر عشرتى معاك .
 وتركت الغرفة غاضبة وقد تركت دموعها تسيل على خديها دون أن
 تحاول أن تكفكفها ، واندفعت كالعاصفة إلى غرفة البنات وأغلقت
 الباب خلفها في عنف .
 ودخلت سوسن على أبيها وقالت له :
 — إنت طلقته خلاص ؟
 فارتسمت ابتسامة كبيرة على وجه حسين .

٧

جلست زينب ترفو جوارب أبنائها وتحاول أن تتبع الرواية التي كانت تجري أحداثها على شاشة التلفزيون ؛ وجلست سوسن تتابع الفيلم باهتمام ، وراح عاطف يقول في ضيق :

— ما تخلصونا بقي ح تفلقونا على إيه ؟ ما احنا عارفين في الآخر تتجوزوا .

وقفت الأم عن رفو الجورب الذي في يدها وقالت :

— وطى حسك ، سامى ومراد بيذاكروا .

فقال عاطف في صوت خافت :

— ماما . هي كل الروايات لازم يتجوزوا في آخرها ؟

— مش كلها يا عاطف .

وجاء الأب يشارك أبناءه جلستهم ، فلما رأى سوسن أمام التلفزيون

قال لها :

— إنتى مش ح تذاكرى يا سوسن ؟

فقال دون أن تلتفت إليه :

— لما تخلص الرواية يا بابا .

(الحفيد)



ورن جرس الباب فقامت الأم وفتحته ، فألفت فتاة جميلة ترتدى
بنطلونا طويلا وفوقه جاكيت تدلت إلى ما تحت الركبة فنظرت إليها في
إنكار ، فقالت الفتاة في ثبات :

— سامى موجود يا تانت ؟

فقالت الأم في عصبية :

— مش موجود .

فنظرت الفتاة إليها في شيء من الدهشة وقالت لها :

— لما ييجى قولى له جيهان سألت عليك .

ودارت الفتاة على عقبها وانصرفت وزينب تنظر إليها غير مصدقة ،

فلما هبطت الدرج أغلقت زينب الباب خلفها في نرفزة ودخلت تقول :

— بنات آخر زمن . جباله لغاية هنا برجليها .

وراحت تقلدها في مبالغة وهي تتماوج :

— سامى موجود يا تانت ؟ قال تانت قال ، إحنا ما كناش بنات !

ونهضت سوسن فقد سنحت لها فرصة نقل خبر ، وانطلقت إلى

حيث كان سامى وقالت له :

— واحده جت سألت عليك ، ماما قالت لها مش موجود .

وألقي سامى الكتاب الذى كان في يده في غضب وخرج إلى حيث

كانت أمه ، وسوسن خلفه مبتهجة تقفز من الفرح قفزا ، ترقب في سرور

ما ستسفر عنه المشادة المرتقبة ، وقف سامى أمام أمه وقال :

— حد سأل على ؟ .

فقال أمه دون أن ترفع عينها عن الجورب الذى كانت ترفوه :

— سامى ، أنا مش عايزه المسخره دى تحصل تانى .

— مسخرة إيه ؟

— إزاي مقصوفة الرقبة دى تيجى لغاية هنا تسأل عليك ؟

ولاحظ الأب أن سامى سينفجر في أمه فقال ليخمد النار المتأججة في

صدر ابنه :

— واحده اسمها جيهان سألت عليك .

— وما ندهتوليش ليه ؟

فقال الأم في انفعال شديد :

— هو الى كان ناقص .

— إيه هو الى كان ناقص ؟ دى زميلتى فى الفصل زى ما نبيله لها
زملاء رجاله فى الفصل .

فهبت الأم ثائرة كأنما جرح كبرياءها وقالت :

— ما تقولش كده .. أنا بنتى مؤدبه ؟

— ومن قال إن جيهان مش مؤدبه ؟

— لو ما كانتشى بجحه ما كانت جت برجليها لغاية هنا .

— فيها إيه لما جت لغاية هنا ؟ هو ده مش بيت محترم ؟

وأحست زينب أنها ستهزم إذا ما استمر الحوار فالتفتت إلى زوجها

وقالت :

— ما تشوف ابنك يا حسين !

فالتفت حسين إلى سامى وقال :

— روح ذاكر يا سامى ، حصل خير .

فقال سامى وهو ينصرف :

— تكذبوا وتقولوا إن انا مش هنا وبعدين تقولوا حصل خير !

وغاب سامى فى غرفته فقالت زينب لزوجها :

— والله ما ح يخرسهم إلا تطريتك دى ، يا راجل خليك حمش مره .

وكأنما لم يعجبه كلامها فانسحب إلى غرفة النوم ، فقامت زينب

خلفه وراحت تقول :

— أنا عايزه أعرف الى بينه وبينها ؟

فقال حسين في هدوء :

— ح يكون بينه وبينها إيه ؟ زميلته في الجامعة وبينه وبينها صداقة بريئة .

فقالت في غيظ وقد أخذت ثوبها عند صدرها بين أصابعها وراحت تهزه :

— بريه . بريه ! قال صداقه بريئه قال .. هو فيه في الدنيا دي صداقه بريئه ؟

— عيبك إنك دائما تسيى الظن بالناس .

— لأ ... نخط الكبريت جنب البنزين ونقول صداقه بريئه ، يا راجل فوق بقى ، اسألنى أنا دا كله تحت باطى .. ح ييجى واد مفعوص زى ده ع الآخر وياكل بعقل حلاوه .

— اسمعى نصيحتى يا زينب ، إن جت سألت عليه مره تانيه قولى لها اتفضللى .

فقالت ساخرة :

— وادخلها على فين ؟ على أودة النوم ؟

وأعرض عن قولها واستمر في حديثه قائلا :

— مش أحسن لما يتقابلوا قدامنا من إنهم يتقابلوا من ورانا ؟

— وايش عرفك انهم مش ح يتقابلوا من قدامنا ومن ورانا .

— بلاش كلام فارغ ، إذا عرفوا إننا ينشق فيهم مش ح يكذبوا علينا .

فقالت في تهكم :

— ٥٤ —

- اسم الله يا بنتي . فوق يا خويا فوق دا جيل يعلم به ربنا .
وخرجت إلى حيث كانت سوسن وعاطف وكانا يتابعان الفيلم .
فلما رأَت سوسن أمها اتجهت إليها وقالت :
— ماما .. إزاي واحدة ست تحبل من غير ما تتجوز ؟
فقالت زينب في فزع :
— اخرسى يا قليلة الأدب .
وأرادت سوسن أن تنفى عن نفسها ما أغضب أمها فقالت :
— أنا مالى ، التلفزيون اللى بيقول كده .
ونظر عاطف إلى سوسن وقال لها :
— سييك من ماما ، تعالى أنا أفهمك .
فهبت زينب نائرة واندفعت إلى حيث كان حسين وراحت تولول :
— يا خرايى .. يا خرايى .. جيل آخر زمن .

٨

وضعت زينب الهدايا التي ستحملها إلى ابنتها نبيلة في كيس من البلاستيك . لقد زعمت أن ابنتها أوحشتها كثيرا وأقنعت زوجها أن يشتري شيكولاتة وأشياء أخرى فما يليق أن تدخل إلى ابنتها خاوية اليدين . صدق الرجل أن ذهاب زينب إلى ابنتها إن هي إلا زيارة برقة وما خطر له على قلب ما كان يدور في رأس الأم .. إنه كان يحب أن يذهب معها إلا أنه كان مضطرا إلى العودة إلى عمله بعد الظهر فنهاية السنة المالية على الأبواب ، وكان عليه أن يقفل حسابات السنة التي تجرى بخطوات واسعة لتصبح في ذمة التاريخ !

كان يتعجل خروج زينب ليخرج ، ولكن زينب من عادتها أن تتلصق كثيرا قبل أن تغادر البيت . إنها تعيد ترتيب كل شيء ، تلتقط قصاصات الورق من الأرض ، وتبسط الستائر التي تكون قد جمعت ليدخل النور ، وكانت دائما تعود إلى غرفة النوم بعد أن تصل إلى باب الخروج لتلتقط شيئا نسيته أو تتأكد من أنها أحكمت إغلاق بابها .

وفي أثناء هزها للستائر قال لها حسين :

— ح تروحي لوحدك ؟

فقال عاطف :

— أنا ح اروح معاها .

فقال الأب :

— مش كنت خدت حد كبير ؟

فراح عاطف يفرد طوله ويشب على قدميه وقال :

— طب ما انا كبير اهو .. أنا بقيت راجل .

وابتسم حسين وقالت زينب لعاطف :

— ياللا يا راجل .

وفتحت زينب الباب لتخرج ، فقال حسين ساخرا :

— ما نستيش حاجه ؟

فدارت زينب على عقبيها وقالت :

— فكرتنى .. الجونتى .

وعادت تفتح باب غرفة النوم التى أغلقتها بالمفتاح ، واتجهت لتحضر

القفاز وحسين فى الصالة ينفخ ضيقا وعاطف يتململ فى وقفته ، وعادت

تحمّل الكيس فى يد والقفاز فى اليد الأخرى وذهبت لتخرج ، ولكنها قبل

أن تغادر الباب ثبتت طرف حذاءها على الأرض ورفعت كعبه والتفتت

تنظر إلى ساقها ثم قالت لزوجها :

— والنبي يا حسين شوف الشراب معدول .

— معدول يا ستى .

ولما اطمأنت إلى حسن هندامها تحركت ، فقال لها حسين :

— خدو تاكسى .

فقال فى براءة :

— والأتوبيس ماله .. ليه البعزقه اللى ما لهاش لازمه ؟ ما كل الناس
بتركب الأتوبيس :

وخرجت زينب وعاطف إلى جوارها مزهوا بنفسه ، وراح حسين
يتبعهما بنظره ، وقد كست وجهه موجة إشفاق وسخرية ، إشفاق على
نفسه وسخرية من زوجته العاقلة المدبرة !

واندست زينب فى الأتوبيس وانحشرت بين الواقفين وأوقفت عاطف
أمامها ، إنه يتنفس بصعوبة من الزحام الذى يضغطه ضغطا .. وأحست
زينب بشاب يتحرك خلفها فالتفت إليه فلم ترح إلى هيئته ، فراحت
تنقل عاطف من أمامها إلى خلفها ولم يكن ذلك أمرا ميسورا . وأصبح
أمامها رجل يرتدى ملابس رياضية وقد أمسك العمود الذى تعلق به
الواقفون بيد يزين معصمها ساعة ذهبية .

ورأت يد الشاب الذى كان خلفها تتحرك فى خفة وفى حركة خاطفة
تخلع الساعة من الرجل الواقف أمامها فصاحت صيحة لا إرادية :
— الساعة ..

فالتفت الرجل الذى سرقت منه الساعة فى سرعة وقبض على يد
النشال وفى يده الساعة الذهبية ، وقال له فى وعيد :
— آه يا حرامى !

وراح النشال يستعطف الرجل :

- خلاص يا بيه .. ساعتك معاك .. أنا غلبان وعندى عيال .
- أنا عارف ألاعيكم ، عارف كل طرق النشل بتاعتكم .
- خلاص يا بيه .. ح تاخذ إيه من حبسى ؟ . ح تجوع عيالى ..
- سيبنى الله يسترك .
- فقال الرجل هازئاً به :
- مش ح اسيبك إلا لما توربنى نشلتها إزاي من أيدي .
- أمرك يا بيه .. ارفع إيدك زى ما كنت رافعها .
- ورفع الرجل يده وأمسك بقبضته العمود الأفقى الذى يتعلق به الواقفون ، وفى خفة خاطفة نشل النشال الساعة وقال وهو يقفز من الأتوبيس :
- نشلتها كدا هوه .
- وأطلق النشال ساقيه الريح وانفجر ركاب الأتوبيس يضحكون ، والرجل الناصح غارق فى الخجل .
- ودخلت زينب وعاطف على نبيلة ، فوضعت زينب الكيس البلاستيك الذى ملئ بالهدايا على أول منضدة قابلتها ، وراحت تقبل ابنتها التى قادتها إلى غرفة الاستقبال وزينب تقول :
- نقعد هنا يا نبيلة ، هو احنا غرب ؟
- وجلستا تتحدثان ، وفيما هما تتحاوران قالت الأم :
- ما جبتيشى لنا حاجه حلوه كده زى أحلام ؟
- فقالت نبيلة فى بساطة :

— ٥٩ —

— لأ .. أنا متفقه مع شفيق إننا ما نخلفش إلا لما اخلص الجامعه .

— وليه بقى يا بنتى ؟ ما فى الجامعه ستات كتير مخلفه .

— بيقول لى تروحي الجامعه إزاي وبطنك علو كده .

وتشير بيدها إشارة فيها مبالغة :

— ما ستات كتير بتروح الجامعه وبطنها علو كده .

فقالته نبيلة فى إنكار :

— أروح الجامعه كده ازاي ؟

— يا بنتى البكريه بطنها ما بتبنشى ، وفى الشهور الأخيره البسى
هدوم واسعه .

بـ دا شفيق يقول لى تعملى إيه لو ولدق فى الامتحان واللاقبل
الامتحان بجمعه ؟

— يا اختى دى تلاكيك ، يعنى كان منشن على الامتحان ؟ دابس هو
مش عايز يرتبط بحاجه ، عايز يفضل حر . إن ما ربطهش بعيل مين
عارف يمكن يطير .

— يا ماما شفيق مش من دول .

— كلهم يا بنتى من دول .. اسألينى أنا ، أمال أنا خلقت سبعة ليه ؟

— سبعة يا ماما ؟ الأيام دى راحت خلاص .. مين فى اليومين دول

بقدر على سبعة ؟ ييجب لهم صحه منين ؟ ييجب لهم فلوس منين ؟

— الصحه ربنا بيديها على قد ما بيدي العيال .. واغلبيه بالعيال يغلبك

بالمال .

— ٦٠ —

- كفايه يا ماما واحد واللا اثنين .
- ذا الكلام الفارغ الى بيعلموه لكم اليومين دول .
- مش كلام فارغ يا ماما . كفايه واحد .
- بس هاتى الأولانى وانت نفسك ح تفتح لهم ، ح تدوقى لذتهم .
- وراح عاطف يأكل الشيكولاتة التى قدمتها له أخته ، إنه لم يكتف
- بقطعة أو قطعتين ، لقد ذاق لذتها فانفتحت لها نفسه .
- ونفضت الأم لتنصرف فقالت لها نبيلة :
- ما بدرى يا ماما .
- نروح قبل الدنيا ما تضلم علينا .
- استنى شويه زمان شفيق جاى يوصلكم .
- تفتح حقيبة يدها وتبحث فيها ثم تقول :
- نسيت المشط .
- فتلقت نبيلة إلى عاطف وتقول له :
- هات يا عاطف المشط من أودة النوم .
- يدخل عاطف غرفة النوم ويتجه إلى التواليت فلا يجد المشط ، يفتح
- الدرج فيجد مشطا ويجد فى الدرج مانع للحمل ، يتناول المشط ويدسه
- فى جيبه ، ثم يأخذ مانع الحمل وينفخه ويخرج إلى حيث كانت أمه ونبيلة
- وقد امتلأ العازل بالهواء وأصبح فى حجم الباذنجان السوداء الطويلة .
- ورأت نبيلة ما يفعله أخوها فهرولت إليه وخطفت منه العازل فى شدة
- ورأت الأم ما فعلته نبيلة دون أن تفطن إلى الدافع لها على ذلك فقالت فى

عتاب :

— مالك خضيتى الولد كده على حنت زماره ؟

وفتح الباب ودخل شفيق ، فتنفست نبيلة الصعداء وقالت :

— أهو شفيق جه .. اقعدى معاه شويه يا ماما .

— معلهش يا بنتى مره تانيه .. اتأخرنا .

— طب شفيق يوصلكم .

فقال شفيق فى رقة :

— اتفضلوا ..

وركبت زينب فى المقعد الخلفى للسيارة وجلس عاطف إلى جوار شفيق وانطلقت السيارة ، فاذا بعاطف يلحظ أن فى مؤخرة السيارة التى أمامهم لوحة كتب فيها (E.T.) فقال لشفيق وهو يشير إلى اللوحة .

— يعنى إيه (E.T.) يا أنكل ؟

— يعنى اوعى تشعبط .

وضحكت زينب ونظر إليه عاطف عاتبا ، فلما وصلوا هبطت زينب وهى تقول :

— اطلع يا شفيق ما يصحش عمك فوق ..

فقال شفيق معتذرا :

— مره تانيه يا تانت .. عندى شغل كثير الليلة دى .

وعاد ليجد نبيلة فى الفراش تنتظره ، فراح يخلع ملابسه ثم اتجه يحضر مانع الحمل ، فلم يجده فلما سأها عليه قالت له وهى تضحك :

— ٦٢ —

— اسكت مش عاطف عتر فيه وافتكراه زماره .

فالتفت إليها وقال :

— طب خدق الحبايه ؟

فقالت فى تخاذل :

— خدتها .

وأحس فى لهجتها عدم الصدق ، فأعاد النظر إلى ورقة الحبوب وراح

يعددها ثم قال :

— أنا شايف إن عدد الحبوب ما نقصى .

فمدت له ذراعين بضتين عاريتين وقالت فى إغراء :

— تعال ..

فهرع إليها يرتقى فى أحضانها .



كانت زينب تغدو وتروح في قلق ، وكان حسين يذهب إلى الشرفة
وينظر وتطول مراقبته للطريق ثم يعود ليدور في حجرات المنزل .
ونظرت زينب إلى الساعة المعلقة في الصالة فإذا بها تستشعر أن دقائق قلبها
تعلو على صوت البندول . ولم تستطع أن تستقر فأنطلقت إلى حيث كان
زوجها وقالت له :

— الساعة بقت تسعه يا حسين ومراد مجاشي من المدرسه .

فخرج سامي من غرفته وقال :

— دلوقتي ييجي ح يروح فين ؟

فقالت زينب في صوت مخنوق :

— دا ما تغداشي يا عيني .

فقال حسين ليطمئن نفسه :

— تلاقيه اتغدى مع حد من صحابه .

— دا ما تعودش يتأخر لغاية الساعة دى .. لو كان راح يلعب كوره

كان زمانه جه . ما فيش الا إنه ركب بسكلته وهفه أتمبيل .

وفزع حسين وقال لها :

— يا شيخه افتكرى حاجه عدله ، هو انتى ما تفكريشى فى خير
أبدا ؟

فقال زينب مولولة :

— ح ييجى الخير منين والواد بره لغاية دلوقت .
وأراد حسين أن يفر من تشاؤمها فذهب إلى الشرفة وراح يطل على
الطريق وهو قلق ، وطالت وقفته فقلقه أهون من ذلك الوحز الذى يحز
روحه كلما تحرك لسان زوجه بالشر .
وراحت الهواجس تعبت به فرأى أن يفر منها إلى زوجته . فدخل فإذا
به يسمع زينب تقول لسامى :

— روح يا سامى شوف أخوك فىن ؟

فقال سامى فى ضجر :

— أذور عليه فىن ؟ فى مصر كلها !

فقال زينب فى توسل :

— شوفه عند حد من صحابه يا حبيبى .

فقال سامى وهو يولى أمه ظهره :

— هو داله صاحب واللا اتنين ؟ دى المدرسه كلها صحابه .

وإذا بعاطف يأتى ويتوسط الصالة وهو يقول :

— والمدرسين كمان ، دأقال ..

ولم تدعه أمه يتم حديثه بل دفعته وهى تقول :

— والنبي تغور من وشى دلوقت .

— ٦٥ —

ورأت حسين مقبلا من الشرفة فهرعت إليه وقالت :
— روح يا حسين شوفه مرمى في القصر العيني والسلا في أى
مستشفى .

وظهر في وجه حسين الذعر وخفق قلبه في فزع وقال في ضيق :
— ما تفتكرى خير .

فقال وقد اختنق صوته بدموع تود أن تنسكب على خدها :
— آمال يعنى ح يكون فين لغاية دلوقت .

ودخلت سوسن إلى الشرفة ثم عادت تقفز فرحا :
— مراد جه .. مراد جه ..

وارتمى الأب على مقعد قريب واستنشق نفسا طويلا ثم زفره في
راحة ، وإذا بزینب تقترب منه وتقول له :

— لما يطلع اشخط فيه ، خوفه مره ، بلاش التطريه دى .

فقال حسين وقد تبخر قلقه ورد إليه طبعه الهادئ :

— مش لما نشوف كان فين ؟

وفتحت سوسن باب الشقة وأسرع عاطف ليستقبل أخاه في منتصف
السلم ، فلما قابله قال له متوعدا :

— دى ماما ناويا لك نيه .

وصعد مراد صامتا ، فلما وصل أمام الشقة استقبلته سوسن وقالت
له وقد وضعت يديها في وسطها وهزت نصفها العلوى يمينا وشمالا :

— كنت فين يا اخويا لغاية دلوقت ، دى ليلتك مش فايته .

(الحفيد)

وأطلت زينب من الباب ومدت يدها وقبضت عليه وجذبتة حتى
أمسى في منتصف الصلاة وقالت له :

— دأير على حل شعرك ، مالكش أهل تقول لهم رايح فين ؟ الساعة
بقت عشرة ؟ بقينا نص الليل وانت في الشارع من طلعة النهار .
وأطرق مراد ولم ينبس بكلمة وإن كانت أمه تذكزه في صدره لتنفس
عن الغيظ الذي كاد ينثرها أشلاء ، ونهض حسين وقال لابنه في رقة :
— كنت فين لغاية دلوقت يا مراد ؟

فقال مراد وهو يستشعر أسى لأنه سبب لأهله كل ذلك القلق :
— واحد صاحبي معاه عريبه قال لي تعال معايا نروح القناطر نجيب
حاجه من بيتنا ، قلت له أنا ما قلتش اني ح اتأخر ، قال لي مش ح
نتأخر ، ورجت معاه ، واحنا راجعين انقطع سير العريبه ما قدرناش
نرجع إلا لما اشترينا سير تاني .
فقال له أمه :

— لما انقطع السير ما سبتوشى ورجعت ليه ؟
— ما كانش معايا فلوس ، وإن كان معايا فلوس ما كنتش ح أسيبه ،
احنا خرجنا سوا لازم نرجع سوا .
فلكزته أمه في صدره وقالت :
— شهم قوى .
وأراد حسين أن يضع حدا لهذه المشادة فقال :
— طالع لامه .

— ٦٧ —

ونظرت إليهم نظرة فيها سخرية وقالت :

— والله انتوا بتلعبوا .

وقال سامى فى ضجر :

— عايزين نتعشى عشان نذاكر .

فقال زينب وهى ترمى مراد بنظرة غاضبة :

— البركة فى اخوك الى سد نفسنا .

وذهبت تعد لهم العشاء ودخل مراد بيدل ثيابه ، وتذكر حقيقة ما كان .. إنه كان مع زميل من زملاء المدرسة حقا وركب معه سيارته حقا وانطلقا إلى القناطر حقا . كان صادقا فى كل ذلك ، أما الشيء الذى أخفاه فهو أن إلى جوار صديقه كانت فتاة ، وإلى جواره فى المقعد الخلفى فتاة أخرى ، وقد قطع شيء حقا ولم يكن ذلك الشيء سر المروحة بل حمالة قميص الفتاة التى كانت تجلس فى المقعد الأمامى إلى جوار صديقه ! ودق جرس الباب فذهب حسين وفتحه ، فإذا بجيهان أمامه تسأله :

— سامى موجود يا أنكل ؟

فقال حسين وهو يفسح لها طريقا :

— أبوه يا بنتى اتفضلى .

ودخلت جيهان فى خطوات ثابتة ، وراح عاطف وسوسن ينظران إليها فى فضول وسرعان ما جرت سوسن إلى حيث كان سامى ، وقالت
جيهان :



— أنا ما رحتش الكليه النهارده ، جيت آخذ نوت محاضرات سامى
عشان انقل المحاضرات اللى فاتتني .

فقال لها حسين فى هدوء :

— اتفضللى يا بنتى ، سامى جوه .

ووقفت جيهان مترددة فقال حسين لعاطف :

— وصلها يا عاطف .

ووصلت الأصوات إلى مسامع زينب فخرجت تنظر فإذا بها تجد
سامى وجيهان يتقابلان عند باب حجرته ، فارتسمت على وجهها دهشة
وزادت دهشتها لما رأتهما يدخلان الغرفة ، ونظرت إلى زوجها فى إنكار

فإذا به يرد عليها بكل ملامحه وحرركات يده ليقول لها : وفيها إيه ؟
 ووقع بصرها على عاطف فراحت تشير له أن يدخل معها ، فسوسن
 قد عادت لتجلس أمام التلفزيون . وأطاع عاطف أمه فدخل ، وشمّت
 زينب رائحة شيء يحترق فهرعت إلى المطبخ وأنزلت البيض الذى صار فى
 لون الفحم ، ثم عادت لتتابع ذلك العبث الذى يجرى تحت بصرها
 وسمعتها .

وخرجت جيهان وإلى جوارها سامى وخلفهما عاطف ، كانت
 جيهان تحمل نوت المحاضرات التى اقترضتها ، ومدت يدها تصافح سامى
 وتقول له :

— متشكره .

وسارت حتى إذا ما وصلت إلى حيث كان حسين قالت له :

— مساء الخير يا عمى .

فقال لها حسين فى صدق :

— ما بدرى يا بنتى ، استريحى م السلام .

— مره تانيه يا عمى ، بابا مستنى تحت .

فقال حسين :

— ما يصحش ، انزل يا سامى وقول له يتفضل .

وتحرك سامى فإذا بجيهان تمنعه وتقول :

— ما تتعبش نفسك ، مش ح يطلع .

— ليه يا بنتى ؟

— ۷۰ —

— أصل بابا بینکسف .

ولحت جیهان زینب وقالت لها :

— مساء الخير يا تانت .

ووسعت جیهان خطوها وانصرفت لا تلوی علی شیء ، وارتمت

زینب متهاکة علی مقعد قریب وقالت :

— لو كان بینکسف ما کالشی جاب أم وش عریان دی .

١٠

جلست أحلام تستشعر غبطة في أعماقها . كانت سعيدة لأنها على وشك أن تحقق رسالة كل أنثى في الحياة ، وكان جلال مزهوا برجولته رافعا رأسه لكأنما كان أول رجل أنجب ، وكانت زينب متلهة بالفرح فلو أنها قد جاءت بسبعة أبناء إلا أن سرورها بأن ابنتها ستصبح أما كان يفوق كل سرور ملأها .

ورنت زينب إلى ابنتها في حب وقالت :

— إزيك دلوقت يا أحلام ؟

فقالت أحلام :

— لسه راجعين من عند الدكتور ، قال لي عندك شوية زلال .

وبسطت أحلام ساقها لترى أمها أن بها بعض الورم .

فقالت الأم وهي تشوح بيدها مستنكرة :

— دكتور ؟ دكتور إيه ، أنا خلقتكم كلكم ما رحتش ولا مرة

لدكتور .

فقال جلال :

— وقال لها لازم تمشي كل يوم .

— ٧٢ —

— تمشى يا خويا ما تمشيش ليه ؟ دانا رجعت م الغوريه وبعدها بنص
ساعة ولدت أحلام .

فقال جلال مداعبا :

— وكنتى بتعملى إيه فى الغوريه يا تانت ؟

فقال زينب وقد أشرق وجهها للذكريات :

— كنت باشتري مغات .. هو يرم عضم الوالده إلا المغات !

وكأنما كرهت أحلام ألا تكون محور الحديث فقالت وهى تنظر إلى

جلال فى حب :

— جلال يا ماما اتفق مع الدكتور على كل حاجه ، قال لى الدكتور



— ٧٣ —

أول ما تحسى بوجع تيجى ع المستشفى على طول .

فقال زينب فى فزع :

— مستشفى ؟ مستشفى إيه يا بنى ، ده احنا عمرنا ما دخلنا

مستشفى ، طول عمرنا بنولد فى البيت .

فقال جلال فى هدوء :

— الدنيا اتنورت يا تانت .

ولم يعجب ذلك زينب فقامت :

— اتنورت إيه يا جلال ؟ ده نحن ستات .

وارتفع صوت التليفزيون حتى كاد يغطى على حديث الولادة ،

فصاحت زينب فى غضب :

— بت يا سوسن ! ح توطى صوت التليفزيون ده واللا ح اقوم

اطفيهولك ؟

وأسرعت سوسن وخفضت الصوت ، فعاد جلال يقول :

— فى المستشفى يا تانت استعدادات .

— استعدادات ليه ؟ يا بنى الولادة فيها حاجه ؟ أنا لما ولدت عاطف

قمت بعدها على طول وغسلت كوم غسيل قد كده وطبخت العشا ،

واللا كنت ح اسيهم من غير عشا ؟

— ما كانش البكرى يا تانت .

فالتفتت إلى ابنتها وقالت :

— والله ما ولدت ولاده أسهل من ولادة أحلام ؛ الفلوس اللي ح

— ٧٤ —

- نخطها في المستشفى نعمل بيهم سبوع نفرح ونفرّح الجيران .
- ما تولد في المستشفى ونعمل السبوع برضه .
- ولم يعجب زينب رأيّه فقالت :
- أنا واحده صاحبتى ولدت في المستشفى ، أول ما شافت ابنها عضته في كفه ، والعجيبه إن تانى يوم جابوه لها هو بعينه .
- فقال جلال معقبا على زوجه :
- وإيه العجيبه في كده ؟
- فقال أحلام لتجد مبررا للولادة في بيت أمها :
- بيقولوا الأولاد بتبدل في بعض .
- وأسرعت زينب تشد أزر ابنتها قالت :
- أنا ما طقشنى ضنايا يبعد عن عيني ثانيه .
- ودخل عاطف ورأى أمه قدمت بعض الحلوى لأخته وزوجها فمد يده ليتناول منها ، فإذا بأمه تقول له :
- عيب يا عاطف .
- فقال جلال وهو يقدم قطعة حلوى إلى عاطف :
- سبيه يا تانت .
- فقال زينب وهى ترمى ابنها بنظرة شزاء :
- بعدين ياخذ على كده .
- ما فيش حد غريب .
- ما الخوف ليعمل كده قدام الغرب .

وقالت لعاطف :

— امشى العب تحت .

فقال عاطف :

— طب هاتى قرش .

وأخذ القرش ومر إلى جوار سوسن وهى تتبع الإعلانات فى التلفزيون
فرماها بنظرة هازئة ، ثم اتجه إلى الباب وما إن فتحه حتى ارتطم بأبيه فقال
له أبوه :

— بتجرى كده على فين ؟

فقال فى فرح من قام بمعجزة :

— رايح اضيع ، خدت منها قرش .

ودخل أبوه فلما لمح أحلام وجلال صاح مرحبا :

— أهلا جلال ، أهلا أحلام .

وجلس وظهر على جلال الارتياح ورأى أن يشركه فى الحديث ،

كان واثقا من أن حماء سيقف إلى جواره ولن يخذله قال :

— كنا بتكلم فى موضوع ولادة أحلام ، أنا رايى انها تولد فى

المستشفى ورأى تانت إنها تولد هنا .

فقال حسين فى بساطة :

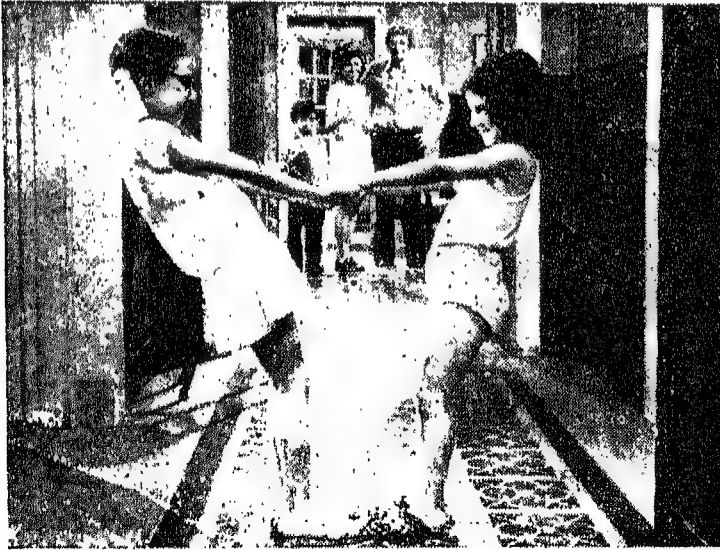
— أنا ماليش رأى ، الرأى لأحلام .

وكأنما وجدت أحلام أنها تستطيع أن تفصح عن رغبتها دون أن يثور

زوجها ما دامت فى حمى والديها فقالت :

— ٧٦ —

— أنا عمرى ما دخلت مستشفى .
فقال زينب كأنما تبعد عن ابنتها مكروها :
— ولا عمرك ح تدخوليها يا بنتى إن شاء الله .
والتفتت إلى جلال وقالت له :
— خلاص ح تولد هنا .
وأسقط فى يد جلال ونظر إلى حماه فى عتاب ؛ وأحس حسين أنه
يقول له دون أن ينطق حرفا : « ليه خذلتنى ؟ » فأطرق حسين وتحاشى
أن تلتقى عيناه بعينى زوج ابنته .
واستأذن جلال ونهض فنهضت أحلام ، وانصرفا والأم تودعهما



— ٧٧ —

ودخل الأب يخلع ملابسه . وفي أثناء عودة زينب مرت بسوسن فإذا

بسوسن تعترض طريقها وتقول لها :

— ماما .. أنا عايزه استعمل اللولب .

فلكرتها أمها في صدرها ثم وضعت يدها على فمها وقالت لها :

— ح اقطع لسانك .

فقال سوسن في براءة :

— وانا مالى ، ما التلفزيون يقول استعملوا اللولب .

— قطيعه تقطعك وتقطع التلفزيون . لمى لسانك قبل ما اهرسك

برجليه .

ولم تخف سوسن ولم تدخل لسانها في حلقها ، كان هناك شيئا تريد

أن تعرفه فقالت في هدوء :

— يعنى إيه اللولب يا ماما ؟

وراحت زينب تتلفت في حيرة ، إنها تحس أنها وقعت في فخ فلم تجد

لها منفذا إلا أن تنهر ابنتها ، فقالت لها :

— يعنى اتكتمى بقى وريحينى من غلبتك دى .

١١

دق جرس الباب فهرعت سوسن تفتتح فإذا بسامى وجيهان يدخلان
وإذا بدهشة عريضة ترسم على وجه الأم ، وقالت جيهان فى هدوء :
— مساء الخير .

فقال حسين دون أن يظهر فى وجهه أى انفعال :
— مساء النور .

ورمقته زينب فى استغراب كيف أن ما يراه لا يثير غضبه ولا يجعل
الدم يفور فى عروقه ؟ إنها همت بأن تعترض على ابنها الذى خدش حرمة
البيت الذى كان فى قدسية الجوامع قبل أن يدنسه الجيل الجديد بتصرفاته
الوقحة الحمقاء ، إلا أن حسين نظر إليها نظرة حازمة شلتها عن كل حركة
وإن لم تحمد النار المتلظية فى أحشائها ، وقال سامى قبل أن يدخل غرفته
خلف جيهان :

— اعملى لنا شأى والنبي يا ماما .

وكاد ذلك يفجر ثورتها وإذا بحسين يقول فى حزم :

— اعملى لهم شأى يا زينب .

وفطنت الأم بغريزتها إلى أنها إذا ثارت فسيقف الأب إلى جوار ابنه ،

فرأت أن خير ما تفعله ألا تثير زوبعة في غير أوانها وأن ترصد الريح حتى إذا ما كانت معها أثارها عاصفة لا تهدأ حتى تقتلع ذلك الخطر الذي يهدد أمن بيتها .

والتفت إلى مراد وقالت له :

— اعمل لهم الشاي .

ودارت على عقبها لتسحب بعيدا لتعبر عن استيائها ، وقبل أن تغيب في حجرتها قالت :

— ادخل يا مراد ذاكر معاهم .

ورفت بسمه هادئة على وجه حسين وأراد أن يلحق بزوجه يحاورها ، فقال لسوسن وعاطف اللذين كانا جالسين أمام التلفزيون :
— مش كفايه بقى وروحوا ذاكروا .. أفنكر لو امتحنوكوا في برنامج التلفزيون تاخذوا عشرة من عشرة .

فقال سوسن :

— والنبي ح اذاكر يا بابا لما تخلص الروايه دى .

وانسحب حسين وذهب إلى حيث زوجته فألفاها تضع يدها على خدها فقال لها :

— مالك ؟

— عاجبك الى حصل ده ؟ عاجبك يجيبها لغاية هنا واحنا قاعدين نتفرج ؟

— ما هي معاه طول النهار في الجامعه .

— ٨٠ —

فقلت وإن أحست أن منطقها قد يهتز :

— هناك ناس كثير .

— وهنا أهم تحت عينا والباب مفتوح .

— بس اشمعنى البت دى ؟

— زميلته ، فيها إيه لما اتنين يذاكروا مع بعض .

— وليه ما تذاكرش مع بنت زيها وهو يذاكر مع ولد زيه ؟

— وفيها إيه لو ذاكرت بنت وولد ؟

فقلت وقد نهضت غاضبة :

— يا نارى ، فيها كثير يا سى حسين ، فيها كثير قوى واللا انت

نسيت ؟

ولمعت عيناه ووأد بسمه أرادت أن تولد على شفثيه . فقد كان يلذ له

الحوار الذى يدور بينهما وإن أصابه بعض رذاذ لسانها . وراحت تغدو

وتروح فى غضب ، ووقفت فجأة فقد أنارت فكرة فى ذهنها فقلت :

— ما هى نبيلة فى الجامعه ، تقبل إن نبيله تذاكر مع زميل لها فى بيته

أو فى بيتها ؟

فقال ببرود :

— الموضوع ده ما بقاش يخصنى ..

ولم تحتمل ذلك القول فقلت فى غضب :

— أمال يخص مين ؟

ولم يخرج غضبها عن هدوئه قال :

— يخص شفيق .

ولحت سامى يخرج بصينية الشاى ويذهب بها إلى المطبخ ثم يعود ويفلق الباب خلفه ، فدارت على عقبها وقالت حانقة :

— أهو الباب اتقفل يا سى حسين ، أنا ما اطقشى كده .

وذهبت وفتحت الباب وإذا بسامى وجهان منهمكين فى المذاكرة ، فرفع سامى رأسه وقال فى صدق :

— اقفلى الباب من فضلك يا ماما ، صوت التلفزيون يشوش علينا .

ولم تجد مفرا من إغلاق الباب فإذا بها تغلقه فى هدوء وإن لاح فى وجهها الضيق وارتسمت فيه الهزيمة ، ودارت على عقبها فألفت حسين واقفا يرقبها ، فلما رآها حانقة تغادر المكان منكسرة ارتسمت على شفثيه بسمه عريضة .

وعاد الزوجان إلى غرفتهما ، وأراد حسين أن يحول الحديث إلى ناحية أخرى فقال وهو يفحصها بعينه :

— يعنى خلصتى الكورس ولا خستيشى .

وأخذت ، لم تكن تنتظر أن يحاسبها زوجها أو يثير مرة أخرى ذلك الموضوع فارتبكت وقالت :

— لأ خسيت .

— مش باين عليكى .

فقالت وهى تتحاشى نظراته :

— خسيت اتنين كيلو .

(الحفيد)

— يعنى استبدلت جنيه من معاشي عشان تخسى اتنين كيلو؟!
ورأت أن خير ما تفعله أن تتملكه .. إنها أنفقت ستين جنيهًا دون
جدوى ، أرغمته بدموعها على أن يستبدل من معاشه جنيهًا فقالت وهي
تدنو منه وتداعبه :

— أخس ازاي وانت مهنيني ومريحي على الآخر ؟
ولم يشأ أن يقسو عليها أكثر من ذلك فقال لها :
— فداكي مش ستين فداكي ستايه .
وأثلج ذلك صدرها وأطمعها فيه فقالت له :
— أنا مهدود حيلى طول النهار ، والنبي يا حسين تروح تغسل
فناجين الشاي اللي خرجت من عند ابنك .
واستراح حسين . إنه استطاع أن يكبح جماح ثورتها بل روضها
وجعلها تقبل الأمر الواقع . فإن كان سيغسل فناجيل الشاي فذلك أهون
من تعب نفسه وتحطيم أعصابه ، ونهض وسار إلى المطبخ وراح يغسل ما
في الحوض إذا بسوسن تقبل وتقول له :

— عايزين ناكل .

— تاكلوا إيه ؟

— ناكل بيض .

وانهمك في إعداد العشاء ثم حمله إلى غرفة الطعام ونادى أولاده ،
وجاءت زينب فقال لها وهو يرمق الغرفة التي فيها سامى وجيهان :
— مش ندخل لهم عشا ؟

فقلت فى امتعاض :

— يا خويا .

ولم يشأ أن يوقظ الفتنة النائمة فسكت وراحوا يأكلون حتى إذا ما أتوا على ما أمامهم التفتت سوسن إلى أمها وقالت :

— ح نحلى إليه ؟

وهرعت إلى حيث العلبة وفتحها فإذا بها تجد فيها قطعة شيكولاتة وقطعة ملبن ، فأخذت لنفسها الشيكولاتة وقدمت الملبن لعاطف وهى تقول المراد .

— مش الملبن أحسن من الشيكولاتة ؟

فقال مراد فى خبث :

— ما اقدرش اقول إلا لما أدوق .

وقدمت سوسن إليه الشيكولاتة فقضم قضمة وقدم إليه عاطف الملبن فقضم قضمة ثم قال :

— الاتنين حلوتين ، ما وحش إلا قلتهم .

وغادروا غرفة الطعام إلى الصالة فإذا بالبواب المغلق يفتح وتخرج منه جيهان ومن ورائها سامى ، والتفتت جيهان إلى سامى وقالت :

— أنا ذاكرت عندك النهارده ، انت بذاكر عندى بكره بقى .

وحيت من فى الصالة ثم انصرفت وسامى معها ليوصلها ، وما أن أغلق الباب خلفهما حتى قالت الأم فى سخرية :

— تعال يا ابويا شوف ، قال كان يسود عيشتى إن عرف إنى فتحت

شباك ، قال شباك قال ..

وقال عاطف معجبا بذكائه :

— مش مذاكرة سامي مع جيهان ح تنتهى بالجواز .

فقال له الأم غاضبة :

— إيه الكلام الفارغ اللى بتقوله ده ؟

ولم يعجبه أن تعترض أمه على قوله وأن تنهره فقال :

— مش كل روايات السينما تنتهى بالجواز .

١٢

كانت سيارة تنطلق وقد جلس شفيق خلف عجلة القيادة وإلى جواره نبيلة ، وجلس جلال في المقعد الخلفى وإلى جواره أحلام . كانت السعادة ترفرف على الجميع وكان الحديث بينهم يسرى رخاء كالنسيم وإذا بالسيارة تهتز في عنف . لم يكن الطريق ممهدا إذ كانت به حفر من أثر مد مواسير أو من أثر شيء آخر ، فالظاهر أن رجال المرافق ينقبون في جوف القاهرة عن كنز دفين .

وارتفع جلال في الهواء ، ولما استقر مرة أخرى على مقعده قال وهو ينظر إلى بطن أحلام :

— حاسب على الولد .

— وإيش عرفك إنه ولد ؟

فقالت نبيلة مداعبة :

— أحلام ح تجيب بنت وبنت وبعدين ولد زى ماما .. دائما البكريه تجيب زى امها .

فالتفت شفيق إلى زوجته وقال :

— تلاته مره واحده ، حد يقدر يصرف على تلاته فى اليومين دول ؟

— ٨٦ —

فقلت أحلام فهى معجبة دائما بأبيها :

— أمان بابا يعمل إيه ؟

فقال شفيق فى حماس :

— بابا كى ده يستحق تمثال .

فقال جلال :

— عاش لىكو حرم نفسه من كل شىء وما حرمكوش من حاجه .

فقاطعته شفيق :

— لأيا عم أنا عايز أعيش لنفسى .

فقلت أحلام فى إنكار :

— يعنى مش ح تخلف ؟

فوضع ذراعه خلف نبيلة فى حب وقال :

— أنا متفق أنا ومراقى إننا ما نجيش عيال قبل ما تخلص الجامعة ، يعنى

لسه قدامنا ثلاث سنين كان .

فقال جلال :

— الكلام ده إن شدت حيلها ومشيت على طول .

فقال أحلام :

— طول عمر نبيله واخده بالها من نفسها ، مش عايزه تروح الجامعة

وبطنها سابقتها .

فقال جلال :

— مش شايف إن فيها حاجه إنها تهن حامل وتروح الجامعة .

فقال شفيق :

— فيها حاجه بالنسبه لى أنا .

فقال جلال :

— فيها إيه ؟

— إن جبت عيل يبقى لازم أبيع العربيه على طول ، ما اقدرش ساعتها
أصرف على بيتين .. العيل والعربيه .. وانا العربيه أحسن لى دلوقت .
وكانت السيارة قد وصلت إلى مكان هادئ من كورنيش النيل فوقف
شفيق ونزل من السيارة وفتح الباب الخلفى ، فنزلت أحلام ثم جلال ،
وكانت نبيلة قد نزلت ووقفت تنتظرهما فلما أصبحوا جميعا على الرصيف
قال جلال لأحلام وأختها :

— ح تمشوا قد إيه ؟

فقالت أحلام :

— نص ساعه .

— طب احنا ح نستنى هنا .

وراحت أحلام ونبيلة تمشيان الهوينى على كورنيش النيل . كانت
الشمس تنحدر للغروب فكان المنظر شاعريا أخاذا يعكس ما فى الطبيعة
من جمال على النفوس فأخذت أحلام ونبيلة تتسامران ، وطفق شفيق
وجلال يتحاوران ؛ كان شفيق يحسد جلال على أخذه للأمور فى بساطة
ويتمنى لو يستطيع أن يكون مثله راضيا ولكنه قلق على الدوام يحس أن
بينه وبين الدنيا خصاما .

— ٨٨ —

وقبل أن يمر الوقت الذى حدداه عادت أحلام ونبيلة والعرق يتصبب
من نبيلة وقد بدا عليها الإرهاق ، فهرع إليها شفيق وقال :

— مالك ؟

فقالت أحلام :

— يا دوب مشينا شويه لقيتها داخت ، قعدتها لغاية ما فافت .

فقال شفيق :

— ياللا نروح عشان نستريح .

فقال جلال :

— من رأى نعرضها على دكتور ؟

فقالت نبيلة فى تخاذل :

— أنا كويسه دلوقت .. ما فيش لازمه .

فقالت أحلام :

— نشوف دكتور أحسن ؟ .

وركبوا وانطلقوا إلى عيادة دكتور يعرفه جلال ، فلما فحصها خرج

إلى المنتظرين فى الخارج وقال لهم :

— مبروك .. الست حامل .

وظهرت دهشة كبيرة على وجه شفيق ، وقالت أحلام فى ارتياب :

— حلوه دى .

وقال جلال لشفيق ساخرا :

— مبروك .. روح بيع العربية .

وظل وجه شفيق مسودا وهو كظيم ولولا بقية من حياء لعض أنامله من الغيظ . وخرجت نبيلة ، ولما رأت زوجها قرأت في وجهه الحزن فسارت مطرقة وإن كانت تفكر في العاصفة التي ستهب إذا خلا كل منهما بصاحبه .

وعادوا إلى السيارة صامتين وانطلقت بهم وهم في شرودهم ، وظل شفيق ونبيلة يغشاها وجوم حتى إذا ما أغلق عليهما باب شقتيها انفجر شفيق في غيظ :

— عاجبك كده .. ده اللي اتفقنا عليه ؟

فقال في تخاذل :

— وانا كنت اقدر اعمل إيه ؟

— كنتى تقدرى تعملى كتير .. أنا كنت حاسس ليلة ما وصلت أمك

ورجعت انك بتغشيني ، ليه عملتى كده ؟ .. ليه غشيتىنى ؟ ..

وأطرقت نبيلة ولم تنبس بكلمة ، وراح شفيق يعمل في سرعة فدنا منها وقال :

— لكن معلى ، ملحوقه .. اللي فى بطنك ده لازم ينزل .

فشدت نبيلة قامتها وقالت في تحد :

— مستحيل .

فقال لها في حزم :

— أنا مش ح اسمح لك إنك تحطى كل اللي باينيه ، مش ح اسمح لك

إنك تضيعى مستقبلى .. اختارى بينى وبينه .

— ٩٠ —

فقلت نبيلة في إصرار :

— مش ح انزله أبدا .. أبدا .

فقال في انفعال شديد :

— خلاص .. إنت حره .

١٣

كانت زينب تستشعر قلقاً لا تدري مصدره وانتابها هواجس ،
فأرادت أن تشرك الآخرين في مشاعرها فقالت :

— اللهم اجعله خير .. عيني الشمال بترف .

فقال لها حسين الذي كان يساعد سوسن على حل واجباتها :

— روى حطى فيها قطره .

وجاء سامى وقال لها :

— لما تيجى جيهان ابقى هنيها يا ماما .

فقالت له أمه فى ضجر :

— يا بنى ابعد عني دلوقت ، باقول لك عيني الشمال بترف .

فقال سامى نافذ الصبر :

— هو أنا باقولك حاجه وحشه ، باقول لك لما تيجى جيهان ابقى

هنيها .

— اهنيا على إيه ؟

— على إنها اتخطبت .

ولفت الحوار نظر حسين فترك سوسن واقترب يرهف السمع ، سمع

زوجته تقول :

— ولما اتخطبت ح تيجى ليه ؟

— ح تيجى تذاكر .

فقالت زينب فى دهشة :

— وخطيبها عارف إنها ح تحيلك ؟

— عارف إنها ح تيجى تذاكر .

فالتفتت فرأت زوجها فقالت :

— سامع يا حسين ؟ خطيبها عارف إنها ح تيجى تذاكر مع ابنك .

فقال حسين فى هدوء :

— وفيها إيه ؟

ولم تحتمل ذلك ولم تستطع أن تتصوره فقالت فى غيظ :

— يا خواتى رجالة إيه دول ؟ رجالة آخر زمن .. رجالة قش .

والتفتت إلى سامى فى شك وقالت :

— ما تقول يا بنى .. إنت راجل واللا إيه ؟

وأحس سامى أن كرامته قد جرجت فقال :

— يا ماما انتى من زمن غير زماننا .

فقالت زينب :

— الحمد لله إنى من زمن تانى .

وصبمت قليلا ثم قالت :

— جوزها ده بيشتغل إيه ؟

— ٩٣ —

- طالب فى الجامعه معانا .
- ولما هو معاكو ما تذاكر معاه .
- ده فى السنة النهائية .
- طيب ما يذاكر لها بدل ما يسبها لك !!
- فقال حسن مداعبا زوجه :
- انت طيبه طيبه بس يا خساره .
- فقال زينب فى فزع وتحفز :
- بس يا خساره إيه ؟
- سوء ظنك بالناس .
- فالتفتت إلى زوجها وابنها وقالت :
- ده اللى بيحجرى فى عروفيكم بقى مايه مش دم ، ومايه ساقعه كان .
- ودق جرس الباب فأسرت زينب وفتحته ، فإذا بها أمام جيهان
- وجها لوجه وإذا بها تقول لها :
- مبروك .
- فيتהלل وجه جيهان بالفرح وتقول :
- الله يبارك فيكى .
- وفوجئت زينب بأن جيهان تقبلها فقالت لها :
- والله فرحت لك قوى يا بنتى .
- مرسى يا تانت .
- ده خطيبى .. بيذاكر ، السنه دى آخر سنه عنده ، إن شاء الله

أجيبه ونيجى نزور كم .

وكان حسين وسامى يتابعان الحديث الودى فى دهش ، فأين زينب
التي تكاد تلذوب رقة وهى تحدث الفتاة من زينب الثائرة الحانقة التي
كانت تقذف من فيها ألسنة نار ؟

ودخلت جيهان ودخل من خلفها سامى ، وما إن جلسا للاستذكار
حتى جاءت زينب وأغلقت عليهما الباب فى رفق وقالت :
— ربنا ينجح مقاصدهم .

ولما وصلت زينب إلى حيث كان زوجها قال لها :

— إيه الرقة دى كلها ؟ إيه اللي جرى فى الدنيا ؟

فقالت زينب فى هدوء :

— مدام اتخطبت ربنا يهنيها .. أنا كنت خايفه لتلهف الواد .

فقال حسين ليغيظها :

— ما ح تلهفه واحده تانيه ، إيه الفرق بين التانيه دى وبين جيهان ؟

— التانيه دى أنا ح اختارها على عيني .

وتذكرت عينها الشمال .. إنها هدأت الموقف وتركت كل شيء يمر
فى سلام لتقضى على مخاوفها التي استولت عليها ، إلا أن عينها الشمال لا
تزال ترتعش فقالت :

— لسه عيني الشمال بترف .. اللهم اجعله خير .

ورن الجرس الخارجى فهرعت سوسن تفتح الباب فألقت نبيلة وقد
حملت حقيبة كبيرة ، فصاحت سوسن قائلة :

— أبله نبيله جت .. معاها شنته كبيره .. باينها مسافره ؟ .
 والتفت حسين إلى زينب في ذعر فقد غلص قلباها لما سمعا من سوسن
 إعلان وصول أختها ، وزاد في جزعهما خبر الحقيبة الكبيرة التي تحملها ،
 وقال حسين في صوت فيه رنة أسي :

— يا ترى جت ليه ؟

— مش عارفه .. خليك انت هنا لما اشوف إيه .
 وذهبت زينب وتصنعت الهدوء واغتصبت ابتسامه وقالت في
 ترحيب لما رأت ابنتها وإن كان قلق بالغ يدثرها :
 — أهلا .. أهلا .

ومدت يدها تحاول أن تحمل عن ابنتها الحقيبة ، ولكن نبيلة أبعدت
 الحقيبة عن متناول يد الأم وسارت شاردة تحاول أن تجمع شجاعتها التي
 تناثرت وأن تحبس الدموع التي تريد أن تطفر من مقلتيها ، إلا أن غريزة
 الأم كشفت كل شيء ، فطنت إلى أن ابنتها في محنة فإذا بالأسى يغمر
 عواطفها وإذا بلهفة على أن تعرف أسباب مقدم ابنتها تستولى عليها ، فما
 أن صارتا في غرفة البنات وحدهما ووضعت نبيلة الحقيبة على السرير حتى
 قالت الأم :

— إيه اللى جرى يا نبيله ؟

فانفجرت نبيله باكية ، فأسرعت الأم تضمها إلى صدرها وتقول
 وقد ترقرت الدموع في عينيها :

— بس يا بنتى بلاش عياط وقولى إيه اللى جرى .



— شفيق .

— ماله ؟

— زعل لما عرف إني حامل .

— ودي حاجه تزعل ؟ ده أمره غريب .. زعل بدل ما يفرح !؟

— وطلب مني إني أنزل اللى في بطني .

— اوعى يا نبيله يا بنتى ، تروحي فيها ، والله لو كان جراك حاجه

ما كان يكفيني فيكى هو ولا عيلته كلها .

فقالت نبيلة وهي تنشج بالبكاء :

— ده قال : لانا لهوه .

— لأهوه .. ده هو من لحمنا ودمنا ، هو حد ينزل الى ف بطنه إلا

إذا كان ابن حرام !

— يا ماما أنا مش ح انزله مهما يحصل .

— تنزليه ازاي ؟ ده ضناكي ؟ حد يموت ضناه بإيديه ؟ وتروحي من

ربنا فين ؟

وساد بينهما صمت لحظة ثم قالت الأم :

— روحى اغسلى وشك وغىرى هدموك ، بيت أبوك الى ساعك

قبل ما تتجوزى يساعك بعد ما تجوزتى ، ده احنا نشيلك جوه عينا .

وفتحت نبيلة الحقيبة فإذا بها ملابسها ، فأخرجت قميص النوم

وانطلقت زينب إلى حيث كان حسين قلقاً أرقاً ، فما أن رآها حتى خف

إليها يقول لها فى لطفة :

— حصل إيه ؟

— شوية نقار بينها وبين شفيق .

— سببه إيه ؟

— عرف إنها حامل زعل وعائز ينزله .

— وح تعمل إيه دلوقت .

— ح تفضل معانا لغاية ما ييجى ياخذها ورجله على رقبته .

١٤

كانت أحلام تسير وقد ازداد بطنها انتفاخا ولم تكن تحس نفس
الانشراح الذى كانت تستشعره كلما خرجت لتتمشى فإنها منذ غضبت
نبيلة وعادت إلى بيت أبيها أمست تخرج وحدها وفى النفس أسى ، فما
كان يخطر لها على قلب أن يصل الحب الذى كان بين نبيلة وشفيق إلى مثل
ذلك الجفاء البارد الثقيل .

وكان جلال يسير إلى جوارها صامتا ؛ وكان ذهنه مشغولا بما كان
بين نبيلة وزوجها . إن صداقة متينة كانت توطدت بينهم جميعا فإذا بغياب
نبيلة وشفيق يترك فراغا فى حياته يسبب له ضيقا ، وما كان بقادر على أن
ينفرد بأفكاره فقال :

— إيه اللى عمله شفيق ده ؟ بقى ده معقول ! أنا ح اروح اكلمه .
فقال أحلام فى إشفاق :

— بلاش يا جلال . إن كلمته ح يركب راسه ، وإن عرفت نبيله ح
ترعل .

— وإيه اللى ح يزعلها ؟

— كلامك لشفيق عشان يرجعها ح يجرح كرامتها .

— كلام إيه ده ؟ أمال فين إصلاح ذات البين .

— إن كلمت شفيق ورجعها يبقى عشان خاطرك مش عشان خاطرها ، وإن رفض يصلحها تبقى أسأت وزودت الخلاف ، أنا رأيي إنك تسببه لغاية ما يرجع لعقله .

فقال ضيقا بحديثها :

— ما هو لو فكرنا في كرامته وفي كرامتها مش ح نعمل حاجة . أنا ح اكلم شفيق .

وكانت أحلام في قرارة نفسها تتمنى أن يقوم زوجها بتلك الوساطة ، أن يعيد أختها إلى بيتها ، فليس للمتزوجات غير بيوتهن وإن فتح الآباء أذرعهم مرحبين . كانت أمها تقول لها دائما « هى الواحده تستريح إلا في بيتها ؟ » ، وكانت تعجب من قولها قبل أن تتزوج ، أما وقد تزوجت وأصبح لها مملكة صغيرة ترعاها فقد عرفت حقيقة ذلك القول .

وسارا يتحدثان ثم عادا إلى البيت سيرا على الأقدام ، وصعدت أحلام لتستريح من رياضتها التي فرضت عليها وانطلق جلال لا يلوى على شيء . كان شفيق في البيت وحده تبدو عليه الكآبة والسأم، إنه اعتاد أن يجد نبيلة في انتظاره ، وإذا خرج خرجت معه . صارت جزءا من حياته . إنه لا يدري لماذا تطوف بذهنه أسعد أيامه معها منذ أن غادرت البيت . إنه يذكر ليلة الزفاف ، فلو أنها كانت ليلة بسيطة إلا أنها كانت مترعة بالمتعة التي استقرت في أغوار نفسه .

إن المتعة الحسية سرعان ما تتلاشى ، ولكن متعة اتصاله بها لم تكن

متعة مادية فحسب بل كانت امتزاج روح بروح ، ذوب نفس في نفس .
ولولا أنه بطبعه لا يجب أن يكشف عن حقيقة مشاعره لظل يقول لها إنه
يجبها .. يعبدها ، إلا أنه كان في قرارة نفسه يعتقد أن تعرية الحب تفسده
كما أن الطعام يفسد إذا ما تعرى .

ووسوست له نفسه في لحظات أنه كان قاسيا معها يوم أن ثار في
وجهها لأنها حملت ، واتهمته بمجافاة المنطق والذوق : ولكن غروره ثار
على تلك الثورة وراح يقنعه بأن ما فعله كان جزاء وفاقا على أن خدعته
وحملت على الرغم مما كان بينه وبينها من اتفاق .

طرق جلال الباب فنهض شفيق وقد تصارعت أحاسيس متباينة .
ترى أعادت نبيلة لتعتذر ؟ ولم يصدق ذلك الخاطر فهو يعرفها شديدة
الحساسية ، شديدة الاعتزاز بكرامتها ، فإذا لم تكن نبيلة فمن يكون ؟
وفتح الباب فإذا بجلال أمامه ، ومد بصره من فوق كتف جلال
ففطن جلال إلى ما يرمى إليه فقال له :

— ما تخافش دانا لوحدى .

— أمال فين أحلام ؟

فقال جلال ليفتح بابا للحديث :

— ح تيجى لمن يا سى شفيق ؟ الى كانت بتيجى لها مش هنا .

وانطلقا إلى حيث كان شفيق جالسا فوقعت عينا جلال على منفضة
السجائر ، إنها تكاد تطفح بأعقاب السجائر فقال جلال :
— إيه ده كله يا شفيق ؟ إنت كنت بتشرب خفيف .

ولاحظ الوجوم الذى كسا وجهه فأراد أن يرده إلى طبعه حتى يستطيع أن يتجاذب معه أطراف الحديث دون ثورة أو انفعال . فقد يده وراح يقلب فى أعقاب السجائر ثم ابتسم وقال :

— براءة ، ما فيش ولا عقب فيه روج .

وابتسم شفيق وقام وهو يقول :

— قهوه واللا اجيب لك حاجه ساقعه ؟

— إذا كان ضرورى هات حاجه ساقعه ، مين عندك ح يعمل القهوه .

وأحس شفيق أن جلال ماجاء إلا ليحدثه فى موضوع زوجه ، فسار إلى الثلاثة على مهل يفكر ويرتب أفكاره ، ثم عاد ليحمل زجاجتين ليمونادة وجلسا يشربان . قال جلال :

— إيه اللى عملته ده يا شفيق ؟ بقى نبيله تستاهل منك ده ؟

فقال شفيق وقد بدأت دماؤه الحارة تتدفق فى عروقه :

— وكنت عايزنى أعمل إيه ؟ اتفقنا على حاجه وكان كله برضاها ،

نمت وصحيت عرفت انها كانت بتكذب على ، كانت بتخدعنى .

— ما تقولش كانت بتخدعك ، دى كلمه كبيره قوى ، الناس تفتكر

إيه ؟

— آمال اللى تبقى عايشه معاك شهرين وكاتمه عنك سرها تبقى إيه ؟

— يمكن ما كانتش عارفه .

— يا ريت ، دى كانت مدبره كل شىء ، ذا اللى غايطنى .

جاءت أحلام وجلال إلى منزل أبيها في الشهر الأخير ، فوجدت
أن من الأسلم أن تكون إلى جوار أمها فإذا ما فاجأها المخاض كانت بين
أهلها في رعايتهم جميعا ، وهرعت نبيلة إليها تقبلها فقال سامي معلقا :
— ولاد الخاله يجوزوا البعض ، ابعدي بطنك يا أحلام عن بطنها .
وأشرق وجه الأم بابتسامة عريضة وغمرها سرور فياض ، وكان
حسين تتنازع عواطفه لا يدرى أيفرح أم يرثى لنبيلة التي كانت أشبه
بأرملة وإن كان زوجها على قيد الحياة .

وقالت سوسن وهي تجذب أحلام من ثوبها :
— أبله أحلام ، عارفه ح تنامي في سريري الليلة دى ، أبله نبيله بتننام
في سرير هاله .

فمالت أحلام وقبلتها وقالت لها :

بـ كتر خيرك يا حبيبتي .

وقال مراد في سداجة :

— الحمد لله إنكم جيتوا بعد الامتحانات ما خلصت
ونظر إليه أبوه نظرة تأنيب ، فأطرق مراد وإن لم يفهم سبب نظرات
العتاب التي رماها أبوه بها ، وأقبل عاطف يحمل الكلب فقالت الأم

عاضبه :

— قلت لك الكلب ده ما ينزلش م السطح أبدا .

فقال عاطف مبررا ما فعل :

— أنا لقيت العيله كلها هنا ما فيش حد غايب إلا سوزى ، قلت
اجيبه .

وضع الكلب على الأرض فراحت أحلام تمسح له شعره فى حنان
وتداعبه وتناديه :

— سوزى .. سوزى .

والتف الأولاد حول سوزى يلاعبونه ، وإذا بفكرة تطرأ على ذهن
مراد فيقول :

— نسيب أحلام ونبيلة ينادوله ، اللى يروح لها منهم تبقى ح تجيب
ولد .

وعلى الرغم من سداجة الفكرة فقد تأخر الجميع وتركوا أحلام ونبيلة
تحاول كل منهما أن تغرى سوزى ليتجه إليها . وقد صادفت اللعبة هوى
فى نفس زينب فتقدمت ترقب التجربة ، أما حسين فقد منعه وقاره أن
يشارك صراحة فيما أثار الحماس بين الجميع .

وذهب الكلب إلى نبيلة ثم عطف على أحلام ، فإذا بزينب تهلل
بالفرح وتقول :

— الاتنين ح يجيبوا ولاد .

وأشرق وجه الجميع بالغبطة ، وإذا بجلال يقول لحماته :

— ١٠٦ —

— بتحبي يا تانت الأولاد أكثر .

فقال زينب في إنكار :

— أبدا والنبي يا ابني ، كلهم معزه واحده .

فقال سامي وهو يشير إلى سوسن :

— بقي أنا عندك زي المفعوصه دى ؟

— وتزيد عنها إيه ؟ لك طرطور واللا على راسك ريشه ؟

ورن جرس الباب فأسرعت سوسن إليه وكانت تسابق عاطف الذى

جرى وجرى الكلب خلفه ، فلما فتحت الباب ظهرت جيهان فإذا

بالكلب ينبح ، فتقهقرت وقالت :

— حوشوا الكلب ده .

فهرع سامي ونحاه وقال لها :

— اتفضلى .

ودخلت جيهان وأحلام ترنوا إليها فى دهش ، وزادت دهشتها لما سمعتها

تقول لسامى :

— مبروك يا سامى ، نجحنا .

فقال لها سامى فى انشراح :

— مبروك يا جيهان .

ودارت على عقبيها وقالت :

— عن إذنكم .

فقال حسين :

— ١٠٧ —

— ما بدري ، افعدى استريحي .

— ما اقدرش ، بابا مستنى تحت .

فقالت لها زينب :

— ابقى تعالى .

— من عينى يا تانت .

— تعرفى تفصلى ولا تخيطى ؟

— طبعا يا تانت .

فقالت زينب وهى تشير الى بطن أحلام ونبيلة :

— تبقى تيجى تساعدينا فى خياطة هدموم النونو والنونو .

— حاضر يا تانت .

وانصرفت جيهان وقالت أحلام :

— ما قعدتش ليه ؟

فقال مراد :

— أصل أبوها تحت .

— طب ما طلعتش ليه ؟

فقالت زينب فى لهجة عادية من كثرة ما كررت العبارة :

— بينكسف .

وقالت أحلام :

— عروسه حلوه يا ماما .

— دى بتذاكر مع سامى ومخطوبه .

— ١٠٨ —

وقالت نبيلة في خوف :

— أنا ح اروح بكره أشوف نتيجتى .

فقال حسين :

— مصمونه . ما تعبش نفسك .

والتف مراد وعاطف وسوسن حول سامى وقالوا له :



— انت عايز تاكل علينا الحلاوة كلنا ؟

— أبدا ، حalah احلى لكم بقكم .

وذهب إلى أبيه وقال :

— كلهم طالين حلاوة النجاح .

فقال حسين في بساطة :

— طيب ما تجيب لهم .

— واجيب لهم منين ؟ ما فيش فلوس .

فقال حسين دون أن يترم أو يظهر عليه أى أثر للضييق :

— المحفظة فى جيب الجاكته جوه ، خذ اللى انت عايزه .

كان حسين سعيدا لنجاح ابنه وكان واثقا من نجاح نبيلة فلم يشأ أن يجعل أى شىء يؤثر على انشراح صدره ، وكان على استعداد لأن يفعل كل ما فى وسعه ليجلب السرور إلى قلوب أبنائه .

ودخل سامى وفتح حافظة أبيه فلم يجد فيها نقودا كثيرة ، فسحب منها جنيتها وأعادها إلى مكانها وهو يحس نحو أبيه حبا عظيما امتزج بإشفاق على الرجل الذى يحرم نفسه ليجود على فلذات أكباده . وهبط سامى مهرولا فإذا بعاطف وسوسن يحرون خلفه ليلحقوا به ، فإنه لمنظر يرضى غرورهم أن يروا أخاهم الأكبر يشتري لهم حلوى بجنيه .

وعاد سامى يحمل صندوق الجاتوه وراح يسأل وهو يستشعر أهميته :

— الشاى جاهز ؟

فقالت زينب وهى تدفع أحلام ونبيلة أمامها :

— كل حاجه جاهزه .

ودخلوا غرفة السفارة وجلسوا يشربون الشاى ويأكلون الجاتوه . وتلفت عاطف وفى غفلة من الجميع أخذوا واحدة وانطلق إلى سوزى وراح يطعمها للكلب فما كان يستطيع أن يحتمل أن تأكل الأسرة كلها ويحرم

— ١١٠ —

الكلب .

وتلفتت نبيلة تبحث عن شيء .. إنها في حاجة إلى كوب ماء . فلما
لم تجد قالت لمراد :



— والنبي يا مراد ناولني كباية ميه .

ونفض مراد متبرما وقال لنفسه وهو في طريقه إلى المطبخ :

— هو احنا بنجوزهم علشان يرجعوا لنا تاني !

وعاد مراد يحمل كوب الماء وقدمه إلى نبيلة وقال :

— اتفضلي .

وقبل أن يجلس قال :

— ١١١ —

— حد عايز حاجه قبل ما اقعد ؟

فقال له سامى ليغيطه :

— ح تقعد ليه ؟ ما كل حاجه خلصت .

وظهر الضيق فى وجه مراد .. أأرسل ليحضر ماء ليحرم من الجأتوه ؟

ولم يطل ضيقه فإن زينب قدمت له واحدة وهى تقول له :

— ما تزعلش .. أنا شلت لك دى .

وتناولها مراد وراح يقضمها وهو واقف فما كانت تستأهل أن

يجلس . ونهض حسيّن وقال :

— اتمسوا بالخير .

وذهب إلى غرفة النوم ، وقالت زينب لهالة وعاطف :

— تعالوا انتو ح تباتوا معانا من النهارده .

فقال أحلام :

— خلى هاله تنام جنبى وعاطف ينام جنب نبيله .

فقال الأم وهى تبسم .

— هو ده معقول ؟ دول بيرفسوا طول الليل .

فقال أحلام فى أسف :

— ح نضايقكو .

— ما تقوليش كده .. السرير واسع يساعنا وزياده .

— ١١٢ —

ودخلت زينب إلى غرفة النوم تسوق أمامها عاطف وهالة . وما أن
أغلقت البابا حتى راحت تفرش لعاطف فراشا على الأرض وأنامت هالة
بينها وبين حسين . وما أن أغمضت هالة عينيها حتى تحركت بحيث
أمسى رأسها في بطن أمها ورجلاها على بطن أبيها .

كانت أحلام في سريرها ونبيلة في سريرها وقد راحت نبيلة في النوم .
 كانت تتحدث كعادتها في نومها وما كانت أحلامها تدور حول المدرسة
 وما فعلته في يومها كما كان ذلك شأنها قبل أن تتزوج ، بل كانت تحلم
 بشفيق ، فما أكثر ما نطقت اسمه في حنان وما أكثر ما نادته وهي غاضبة .
 وكانت أحلام تتلوى من الألم . إنها كانت تحس أن شيئا يتحرك في
 أحشائها ، وقد خطر على بالها أكثر من مرة أن تنهض وأن تطرق باب نوم
 أمها ، ولكنها كانت تشفق على أبيها فما كانت تحب أن تقلق راحته .
 واشتد بها الوجع فنهضت وهي تضع يدها في وسطها كأنما تمسك
 شيئا خشية أن يسقط ، وسارت إلى غرفة نوم أمها ورفعت يدها لتدق
 الباب ولكن خجلها منعها فعدت وهي ترجو أن تستيقظ نبيلة ، إلا أن
 نبيلة ظلت تهجر أحلامها .

وفي الصباح نهضت زينب وكان أول ما فعلته أن انطلقت إلى حيث
 أحلام ونبيلة ، فألفت أحلام تتأوه فقالت لها :

— صباح الخير .. نمتي كويس ؟

— صباح النور يا ماما ، طول الليل بتألم م الوجع .

(الحفيد)

واستيقظت نبيلة على الحديث الدائر بين أمها وأختها فجلست في الفراش تفرك عينيها ، سمعت أمها تقول لأحلام :

— وحاسه بإيه دلوقت ؟

— كأن إيد هون بتدق في ضهري .

— تبقى ح تولدى .

فغادرت نبيلة الفراش وقالت :

— مستنيين إيه ؟ ما تبعنوا للدكتور .

فقالت الأم في ثقة :

— لسه بدرى يا نبيله .. البكريه تطول شويه .

وذهبت نبيلة إلى الحمام فإذا بها تلقى سامى عند الباب وقد وضع فوطة فوق كتفه ، فلم تسرع للتدخل كما كانت تفعل وتغلق الباب خلفها بل تأخرت خطوات وقالت وهى تفسح الطريق أمام أخيها :

— اتفضل .

فالتفت سامى إليها وقال :

— كبرنا وعقلنا .

وما كاد يتم كلامه حتى جاءت سوسن تجرى واندفعت إلى الحمام وأغلقت الباب خلفها ، فإذا سامى يثور ويقول لها مهديدا :

— بس لما تطلعنى أنا ح اوريكى .

فابتسمت نبيلة فما حدث يذكرها بأيام سعيدة مرت بها . أيام لم تعرف حقيقة قيمتها إلا بعد أن فقدتها . ثم التفت إلى سامى وقالت له :

— بكره تكبر وتعقل .

ولم تحمل أحلام الآلام التي كانت تموج في جنباتها ، فغادرت الفراش وأخذت تقطع الشقة جيئة وذهوبا ، حتى إذا راحت أباهما يخرج من غرفته سعت إليه وتعلقت به وهي تقول :

— ح اولد ازاي يا بابا ؟

فقال الرجل وهو يتصنع الهدوء :

— ما اعرفش .. دى حكمة ربنا ، الى اعرفه إنك ح تولدى .

وغادر الرجل البيت ليذهب إلى عمله ، وراحت أحلام تتلوى وتصرخ فينتاب الفرع نبيلة فلا تجد إلا أن تذهب إلى أمها وتقول لها :

— ما تبعتى تجيبى الدكتور .

— لسه يا نبيلة .

— ولو نزل دلوقت ؟

— ح استلقاه على أديه .

ونظرت إليها نبيلة في ضيق وعيناها تقولان : يا قلبك . واستمرت

أحلام تتلوى وقد ارتفع صراخها فقالت نبيلة :

— إن ما بعثيشى يا ماما للدكتور ح اروح لها انا .

فنزلت الأم على رغبتها وقالت لها :

— ح ابعت لها وروحي انتى سخنى الميه .

وراحت زينب إلى حيث كان أولادها وقالت لهم :

— مين فيكو يروح ينده للدكتور ؟

— ١١٦ —

فصمتوا جميعا .. فقالت زينب :

— الى يروح فيكوح اذيله قرش .

فقال عاطف في حماس :

— أنا ..

— شاطر .. روح قل لها تعالى حالا ، أحلام بتولد .

— هاتي القرش قبله .

فمدت يدها في صدرها وأخرجت منديلا بسطته وأخذت قرشا من بين النقود وأعطته عاطف ، فراح عاطف يهرول هابطا وإذا بالكلب يهبط من السطح ويقتفي أثره .

ودخلت الأم غرفة أحلام وأخذت تعيد تنسيقها وتخرج الثياب والأقمشة التي سيلف فيها المولود ، واشتد صراخ أحلام فقالت لها أمها :

— دى طلقة ولد .

فقال أحلام متبرمة :

— أنا لا عايزه ولد ولا بنت .. عايزه الى في بطني ينزل ويرمحنى .

وجاءت الدكتورة ودخلت مسرعة ، وسارت إلى حيث كانت

أحلام فألفتها تنألم وتتلموى ، فنظرت إلى زينب وقالت مستأذنة :

— أديها حقنة تحمى الطلق ؟

فقال زينب وقد لاح في وجهها فزع :

— لا ياختى .. أنا ما احبش الحقن .

ودخلت نبيلة عليهم وقالت :

— جلال جه .

فصاحت أحلام :

— هاتوه يولد معايا .

وصل قولها أذنى جلال فانكمش ، فجاءه سامى وقال له مداعبا :

— ما تخش تولد معاها ، بس فالخ تعملها .

ولم يبتسم جلال .. كان مشفقا على زوجه يتعجل ولادتها لينتهى ما
هى فيه من عذاب . وراح يغدو ويروح وقد صار كله آذانا ، إنه يسمع
كل همسة فى الحجرة ، بلغه قول الدكتورة :

— اتفضللى انتى بره بقى .

فراح يرقب الخارج وسمع الأم تقول :

— ناوليها الميه السخنه .. لأ ما تشيلهاش انتى .. خلى سامى واللا

مراد يجيبها .

وأسرع جلال إلى المطبخ وعاد يحمل طستا به ماء يغلى ، فإذا بنبيلة
تقابله فى منتصف الصالة فتقول له :

— عنك انت .

فيأبى أن يترك الطست لها فتسير إلى جواره حتى إذا بلغا باب غرفة
أحلام قالت :

— خدى الميه من جلال يا ماما .

وتفتح زينب الباب وتأخذ منه الطست وتقول :

— إيد ما نعدمها .

— ١١٨ —

ويأتى حسين ويرى بخار الماء يملأ جو البيت فيقول :

— هـى لسه ما ولدتش !؟

فيرد عليه جلال :

— لسه يا عمى .

ويفطن حسين إلى وجود جلال فيقول له :

— إزبك يا جلال .. ما تأخذنيش يا ابنى .

ويجول جلال وحسين خلال الشقة وقد لفهما قلق ، ولم يحتمل

حسين ذلك فالتفت إلى جلال وقال :

— أنا نازل الشارع اتمشى .. تيجى معايا يا جلال ؟

— أنا ح افضل هنا .

— لما تولد ابقوا قولوا لى .

وخرج حسين وأولاده يرقبونه فى دهشة فما كانوا بقادرين على أن

يعرفوا حقيقة شعوره ، وراح جلال يرصد الساعة التى فى الصالة ، لأنها

تسير ببطء شديد كأنما الزمن قد توقف . واتجهت نبيلة إلى باب الغرفة

تتصنت فإذا بسامى يذهب إليها ويقول لها وهو يجذبها من يدها فى رفق :

— تعالى استريحى .

وارتفع صراخ مولود وإذا بالبشر يكسو جميع الوجوه ، حتى هالة

تهللت بالفرح ، ومروقت ثم خرجت زينب لجلال وقالت لجلال :

— تترى فى عزك .

— مرسى يا تانت .

— ١١٩ —

وقال سامى فى عدم ارتياح :

— بنت .. أنا ما احبش البنات .

فقال جلال فى استسلام :

— كل الى يبييه ربنا نعمة .

والتفتت زينب الى سامى وقالت :

— ربنا مش ح يرزقك إلا بالبنات .

وخرجت الدكتوراة وقالت لجلال :

— تقدر تتفضل دلوقت .

ودخل جلال وانسل عاطف خارجا فى أثر الدكتوراة .

نظر جلال الى زوجه فى حب ثم قال :

— حمد الله على سلامتك .

وابتسمت أحلام وقالت له :

— قريهو لى شويه أشوفه .

وظهر فى وجه جلال دهشه ، وقال وهو يميل فوقها ويجذب فراش

الطفل ليقربه منها :

— أمال ماما قالت بنت ازاي ؟

— خايفه لا يتحسد .

فنظرت الى الوليد وقد نسيت كل آلامها ، وتحركت أمومتها

فقالت :

— مش حلو يا جلال ؟

— ١٢٠ —

ونظر إليه جلال فلم ير إلا قطعة لحم أحمر فقال :

— ح يطلع وخش لمن ؟

ودخل حسين فإذا بأولاده جميعا يدخلون حوله وقد أمسك عاطف بيده كأنما يقول إنه هو الذي استدعاه ، فلما رأى ابنته خفق قلبه في حب وقال في فرح فياض :

— حمدا لله على سلامتك .

— مرسى يا بابا .

وقال له جلال وهو يشير إلى ابنه الذي استقبل الدنيا بالبكاء ثم استسلم لقضائه :

— شوف حسين الصغير حلوازاي .

فإذا بابتسامة تتوج جميع الشفاه ، وإذا بالدموع تترقرق في عيني زينب فتنسل لتكفكفها بعيدا .

١٧

ودخل حسين وزينب محلا فاخرا الشراء هدية للمولود ، واتجها إلى جناح الأطفال فرأى حسين ثوب طفل فأخذه بين يديه يقلبه ثم قدمه إلى زوجه وهو يقول :

— إيه رأيك فى ده ؟

فتحت زينب يده بالثوب بعيدا عنها وقالت :

— الهدوم عنده كتير .

وأعاد حسين الثوب إلى مكانه وتناول عروسة صغيرة وقال لزينب :

— وإيه رأيك فى دى ؟

فقال وهى تجول بعينها فى المكان تبحث عن شىء :

— ح يعمل بيها إيه ؟ ده لسه ما يفهمش . نجيب له حاجة تنفعه .

وفطن حسين إلى أنها تبحث عن هدية غالية ، فرأى ذلك الشىء

المصنوع من جلد أزرق الذى يوضع فيه الطفل ويحمل بعلاقتين فى يد

الأب والأم فى أثناء الخروج فرفعه فى يده وقال لزينب :

— أفكر ده مناسب .

فقال زينب وهى تقلب عينها فى المكان :

— قربت .

ووقعت عيناها على بغيتها ؛ إنها عربية صغيرة لها كبود فخم يفتح ويغلق يوضع فيها الطفل وتدفع باليدين تصلح للشتاء والصيف ، فانجذبت إليها وسارت وحسين يتبعها حتى إذا ما قبضت على يدها المصنوعة من معدن لامع ودفعتها إلى الأمام وجذبها إلى الخلف تختبر متانتها قالت :

— هي دى .

ونظر حسين إلى الصندوق المصنوع من الجلد الأزرق وقال :

— وماله ده ؟

— دا ما يستعملش إلا والنونو صغير ، تو ما كبر مبقاش له قيمة ، إنما دى ممكن تتحط جنب سريرها وتبقى له سرير .. يعنى كلها فوايد . ولما كان حسين قد تعلم أن لا فائدة من الاعتراض استسلم ، وقالت زينب للرجل الذى كان فى خدمتهما :

— ممكن تبعنوها ع البيت ؟

— بكل ممنونية يا افندم .

— طب اديله العنوان يا حسين .

— ما ناخذها معانا ؟ .

— لأ . ح نشترى حاجات تانيه .

وأعطى حسين الرجل العنوان وذهب يدفع الفاتورة وهو يتلفت خشية أن تشتري زوجه شيئا آخر .

— ١٢٣ —

وانصرفا إلى الغورية وراحت زينب تشتري المغات والشمع فأثت على الشمع الذى كان موجودا بالمحل ، ثم انتقلت إلى محل آخر واشترت كل ما فيه من شمع وقالت للرجل :

— ما تعرفش نشترى فول مقشر وحمص منين ؟

— فيه مقله هناك حاجاتها كويسه .

وسارت تشق طريقها فى زحام الغورية وحسين يحمل ما اشترته ، وعلى الرغم من الزحام راحت تحدثه وتقول :

— فين أيامنا الحلوه .. أيام الفستق والبندق واللوز ؟ مين كان يصدق

إن ح تيجى علينا أيام نفرق فيها سودانى وحمص وأرواح فى السبوع ..
زمن !!

وذهبا إلى المقل واشترت زينب ما شاءت وحسين واقف متبرم ، حتى إذا ما حملت ما اشترت قالت له :

— السودانى بقى أغلى ما كنا بنشترى الفساد !

وصمت حسين ثم قال :

— تعالى نشوف تاكس .

— لسه .

— لسه إيه كمان ؟

— ما اشتريناش الفراخ .

— يعنى ضرورى النهارده .

— يا نهارى ، آمال أحلام تتنفس بإيه ؟ دى الوالده أول ما تنزل العيل

لازم تحط فرخه تسند بيها بطنها .

فقال حسين ساخرا :

— والفراخ دى مش عايزه تلاجه ؟ ما تيجى نشترى تلاجه قبله ؟

ولم يعجبها سخريته فقالت فى عتاب :

— هو انا عقى طاقق لأد كده ؟ التلاجه عند جلال ندبح الفراخ

ونضفهم ونودهم عنده ، وكل يوم وهو جاي يجيب فرخه معاه .

— وإيه لازمة البعتره دى كلها ؟

— خلىنا نشرب ونفرح وجيراننا يشربوا ويفرحوا . مش ده أحسن

ما كانت المستشفى تلهف الفلوس ؟

وأطرق حسين لحظة ثم قال :

— ما نشترى فراخ م الجمعة ولا تعب ولا تنضيف .

ولوت زينب شفتها وقالت :

— هى دى فيها بر ، دى شربتها زى مية الفول النابت .. البلدى

بلدى .

وسار معها مستسلما إلى الفرارجى ، فراحت تحمل الدجاج تزنه فى

يدها قبل أن تسمح بوضعه فى الميزان . واشترت خمسة أزواج وحسين

ينظر صامتا ثم قال :

— ما يدبهم وينضفهم .

— أنا إلى حادبهم فى البيت بإيدى .

— وح ناخدهم إزاي ؟

— ١٢٥ —

— حد يحطهم في قفص ويبجي معانا .

هذا ما كان في حسابنا : إنها تريد أن تعود محملة وأن يسير خلفها من يحمل قفص الدجاج وأن يتحدث الجيران بما جلبت لابنتها . وقبل أن تتحرك للانصراف قالت لحسين :

— نسينا السمن ، أمال ح نعمل المغات بإيه ؟

— ومين ح يشيله واحنا محملين زى الحمير ؟

— الى يشيل قفص الفراخ على راسه ياخذ السمن في إيده .

وانطلقت إلى بقال وحسين يتحكم في عواطفه وإن كان سينفجر من الغيظ . واشترت صفيحة سمن صغيرة وناولتها للرجل الذى كان يحمل قفص الدجاج فوق رأسه ، فالتقطها في يده وسرى الركب في الطرقات وقد وسعت زينب من خطوها فهي تريد أن تصل إلى البيت قبل سقوط الليل .

ولحت سيارة المحل الذى اشترت منه عربة المولود واقفة أمام دارهم فاستشعرت زهوا ، وسمعت صوت الكلاكس المتصل فإذا بعبادة تغمرها ، فالكلاكس سيجذب الجيران إلى الشبايك والشرفات وهذا غاية أمانها ليرؤا ما جلبت من طيبات ..

وفتحت النوافذ والشرفات ، وخرج سامى ومراد والأولاد إلى الشرفة ، فلما رأوا والديهم قادمين هرعوا هابطين في الدرج مسرعين ، وجرى سامى ليحمل عن أبيه ما كان ينوء به ولكن أمه قالت بصوت عال لا لتسمعه وحده بل لتسمع الجيران :

— ١٢٦ —

— روح انت يا سامى استلم منهم العريه .
وكانت العربيه قد خرجت من جوف السيارة واستقرت على الأرض
فذهب سامى ليتسلمها . وحمل مراد وعاطف وسوسن ما كان يحمله
أبوهم والتفوا حول أبيهم فرحين ، فسارت زينب تكاد أعضاؤها تهتز
سرورا ، وبين وقت وآخر تلتفت إلى الرجل الذى يحمل قفص الدجاج
ويسير خلفهم كأنما كانت تعلن للملأ أن الدجاج دجاجها .

١٨

ذبحت زينب الدجاج ووضعت صفيحة ماء على وابلور الجاز وذهبت
قدم لأحلام العشاء ، فوجدت أن هالة قد وضعت في العربة وأن
موسن وعاطف يتشاجران على من يدفعها أمامه فصاحت فيهم :
— إيه المسخره دى ؟ هى دى كان لعبه .

وأنزلت هالة ، فلما وجدتها ستبكي قالت لها :
— تعالى نضفى الفراخ معايا .

فقال عاطف :

— وانا .

— وانت .

وقالت سوسن :

— وانا كان .

— وانتى كان .

ودفعت العربة أمامها ووضعتها إلى جوار سرير أحلام وقالت لها :
— استعملها بالليل .

ووضعت صينية الطعام في حجر أحلام ، ومالت على الطفل تقبله في

حب ثم خرجت وهى تنادى :

— سامى ، مراد ، نبيله ، سوسن ، عاطف . تعالوا كلكم
اشتغلوا .

وانجهت إلى المطبخ فإذا بجميع الأولاد يلحقون بها ، فوضعت طستا
كبيرا فى الوسط وقالت للأولاد :

— هاتوا كراسى المطبخ واقعدوا عليها .

فأتوا بها وتحلقوا الطست ، وأنزلت صفيحة الماء المغلى من على الوابور
وراحت تغمس الدجاج بها وتلقى به فى الطست ، فيتناول كل واحد من
أولادها دجاجة ينتف ريشها .

وجاءت هالة وحاولت أن تلتقط دجاجة وأن تفعل كما يفعل إخوتها
فإذا بالدجاجة تلسعها فتبكي فتضمها نبيلة إلى صدرها ، ويأتى حسين
ليرى ما الذى أبكاه فتقول زينب له :

— ما تقعد معنا تساعدنا .

فجلس بعد أن أفسح له سامى مكانا وراح ينتف ريش دجاجة ،
فامتلا المكان بالريش .

وقال عاطف وهو يجاهد لينزع ريش جناح الدجاجة التى كان
ينظفها :

— اليومين دول سوزى ح يهيص .

فقال له مراد :

— ده احنا الى ح نهيص .

وانسحبت هالة ونامت في الصلاة ، وبعدها انسحب عاطف ،
وأرادت نبيلة أن تنسحب فقد مشى التعب في أوصالها فقالت وهي
تنهض :

— أما اشوف الأولاد ناموا فين .

وذهبت إلى حيث كانت هالة وعاطف فأيقظتهما في رفق وقادتهما إلى
سرير أبيهما ، ولم تعد لتستأنف عملها بل تمددت إلى جوارهما ، ولولا
خجلها لدخلت لتنام في سريرها . وسرعان ما انسحب سامى ثم مراد ،
فلما دقت الساعة الثانية عشرة لم يكن في المطبخ سوى حسين وزينب
وسوسن .

ووضعت زينب الدجاج في مصفاة كبيرة وقالت :

— الصبح نخلى جلال ياخدهم ويحطهم في التلاجه .

فدنت سوسن من أمها وقالت لها :

— عايزه كبده .

لم تكن سوسن تنتظر بلا هدف بل كانت تريد أن تأكل أكباد
الدجاج ، وقد صادفت الفكرة هوى في نفس الأم فراحت تحمر أكباد
الدجاج ثم أخذت تأكل مع سوسن وتغرى حسين على مشاركتها فيه ؛
ولم يستطع مقاومة إغراء الروائح التي ملأت أنفسه ، فأقبل يأكل متلذذا
حتى كاد ينسى النوم الذى كان يداعب عينيه .

وبعد أن أكلا لحا نبيلة تنسحب إلى غرفتها ، فقالت لها أمها بعد أن
فطنت إلى أنها لم تدعها على الطعام :

(الحفيد)

— ١٣٠ —

— تعالى يا نبيلة حمري لك حنتين وكلى .
فقلت نبيلة وإن أسالت الرائحة المنبعثة من المطبخ لعابها :
— أنا أتعشيت يا ماما مع سامى ومراد .
ودخل الجميع ليناموا ، فوجدت نبيلة أختها أحلام ترضع وليدها
فقلت وهى تبتسم :
— هربتى من الجامعه عشان ما تسهريش ، أهو سهرك .
فقلت أحلام فى رضا :
— بس ده سهر للذيد .
وفى الصباح الباكر نهضت زينب تقدح السمن للمغات فإذا
بالشقة كلها تعبق برائحة السمن المقدوح ، وهرعت نبيلة إلى المطبخ
تعاون أمها قالت :
— أساعدك فى حاجه ؟
— حمصى الفول السودانى .. قال فول سودانى قال .. فىن
المكسرات ؟ هو المغات يبقى مغات إلا لما يبقى السمن فوق وشه قيراطين
ويتملى بالمكسرات .
واستيقظ كل من فى البيت فنادت على سوسن وقالت لها :
— خدى سلطانية المغات دى إديها لام محمد جارتنا ، وقولى لها نخلي
الأولاد ييجو فى السبوع .
وخرجت سوسن تحمل السلطانية ، ونادت زينب على عاطف
وقالت له :

— ودى المغات ده لخالتك أم اسماعين وقول لها خلى الأولاد ييجوا فى السبوع .

ونادت مراد وأرادت أن تحمله حلة مغات ليذهب بها إلى الجيران فأبى وقال لها :

— إدى عاطف قرش وهو يوزع لك المغات ع الجيران كلها .
والتفتت نبيلة إلى أمها وقالت :

— إنتى ح تفرقى مغات ع الجيران كلهم ؟ ح تكفى عليهم منين ؟
— خير ربنا كثير .

وتناولت فنجانا كبيرا ملأته مغاتا ورشت فوّه السودانى المطحون وذهبت إلى حسين وقدمته إليه ، واعتذر حسين بأنه لا يستطيع أن يشرب على الريق كل ذلك الدسم ، قالت له :

— اشرب يا حسين انت ح تعمل زى الجليل الخرع ده ، دانا ابويا الله يرحمه ما كانش يفطر إلا بطاجن سمك .

وتناول حسين الفنجان كارها وراح يشرب قبل أن يخلق ذقنه .
وجاء سامى وهو يحمل صحف الصباح وهو يقرأ فيها فناول أباه صحيفة وأخذ أخرى يتصفحها ، فأقبلت سوسن ودخلت على أبيها تروى له ما فعلته فهى لاترى شيئا ولا تفعل شيئا إلا وتحكى عنه لا تقدر على الكتمان ، قالت :

— وديت المغات لام محمد وعم محمود وست زهيره وست فردوس ولكل الجيران اللى فى بيتنا وقلت لهم خلوا الأولاد ييجوا فى السبوع .

— ١٣٢ —

— ودیتی لكل دول ؟

— آه ، وعاطف ودا للجیران الی قدامنا والی جنبنا .

ونحی حسین الفنجان جانباً وذهب إلى حیث كانت زینب . إنها كانت فی طریقها إلى أحلام تحمل لها الإفطار فقال لها فی غضب :

— انتی ناویه تعملى إیہ یا زینب ؟

— سبوع ، انت فی دیک الساعة الی بقیت فیها جد .

ووقف یتلفت فی حیرة وغابت زینب فی غرفة بنتها .

ودق جرس الباب فراح حسین یفتح فإذا مصطفی علوان وزوجه قد أقبلوا لیروا حفیدهم ، فما أن رأى مصطفی حسیناً فی جلبابه حتی قال له :

— لا مؤاخذه ، النهارده الجمعة وجینا بدری .

— البیت بیتکم اتفضلوا .

ودخلا فی ید أم جلال صندوق شیکولاتة ، وبلغت الأصوات أذنی زینب فخرجت ترحب بهما وتبادلت المرأتان القبلات ، ثم قالت أم جلال :

— مبروک ما جالکو .

فقالت زینب وقد أشرق وجهها سروراً .

— مبروک ما جالنا کلنا .

ودخل الجميع غرفة أحلام فوضعت أم جلال صندوق الشیکولاته قریباً من امرأة ابنها بحیث تراه ، ثم مالت علیها وهی تقول :

— ١٣٣ —

— ألف حمد الله على سلامتك .

وقبلتها ، وقال مصطفى علوان :

— مبروك ! يترنى فى عزكم .

وجلس وجلست زوجه ، وذهبت زينب وحملت الوليد ودفعته إلى جدته وهى تقول :

— شوفى حسين حلوازى ؟

وتعكر صفوها لما صك أذنيها اسمه ، ولكنها تناولته على كفيها وهى تقول :

— بسم الله الرحمن الرحيم ..

وتطلعت فى وجهه ثم التفتت إلى أحلام وقالت :

— مين جبتى الوحاشه دى ؟ أبوه حلوا و انتى حلوه .

فقال أحلام :

— لأ يا نينه ، ده قمر .

ودفعته أم جلال فى رفق إلى زوجها فراح مصطفى ينظر إليه وقد تحركت عواطفه فإذا بإشراقة كبيرة تكسو وجهه . وأخرج من جيبه ورقة من فئة الخمسة الجنيهات ووضعها على صدره .. قدم الطفل إلى حسين الذى كان يرقب ما يجرى منفعلاً فهو لا يصدق أنه أصبح جداً ، ولما رأى يدى مصطفى ممدودتين بالطفل قال وهو يتقهقر إشفاقاً :

— لأ لأ . أنا ما حبش أشيلهم وهم صغيرين كده .

وتناولت زينب الطفل وأعادته فى خفة إلى جوار أمه ، فقال حسين

— ١٣٤ —

وهو يرنو إليه :

— سبحان الله ! بقى ده يكبر ويمشى ويبقى راجل !
فقال مصطفى فى فرح :



— ويجوز ويخلف ويبقى جد .

وانتهت الزيارة فخرج حسين وزينب خلفهما يودعانهما ، وقبل أن
ينصرفا قالت زينب :

— ما تتأخروش عن السبوع .
فقال مصطفى فى صدق :

— ١٣٥ —

— هو احنا بقينا نقدر .

وأغلق الباب خلفهما ، فراح حسين ينظر إلى زوجته في عتاب ويقول لها :

— إيه اللي بتعمليه ده ؟

— كان مش عايز جده وتيته يحضروا السبوع ١٩ وهبت أم جلال وزوجها وهي تغلف على الابتعاد ، فلما وصلوا إلى الطريق قالت :

— شوف ابنك الخايب ، سمى ابنه على اسم حماه ، كان الأصول يسميه مصطفى ، ده حتى اسم مصطفى جلال لايق أكثر من اسم حسين جلال !

ولزم مصطفى الصمت ، كان لا يحب أن يثير موضوعا للنقاش لا طائل تحته ، وضايقها صمته فأرادت أن تحرك لسانه قالت :

— ح تيجى السبوع ؟

— ودى فيها كلام ؟ سموه حسين جلال سموه مصطفى جلال أنا قلبى اتفتح له .

١٩

وضع الفول والحمص كوما في وسط المائدة ، وذهبت زينب وسرعان ما عادت بصندوق الشيكولاتة الذي جاءت به أم جلال وصبت ما فيه فوق الفول والحمص وراحت تقلب الكوم بيدها ، وجلس أبنائها جميعا حول المائدة ولم يغيب منهم أحد ، حتى الكلب سوزى كان يمرح حولهم .

كانوا قد قطعوا ورق السوليفان مربعات صغيرة ليلفوا الفول والحمص والشيكولاتة التي ستوزع على الصغار في « السبوع » وقالت الأم :

— ما فيش أكثر من حبة شيكولاتة واحده في كل لفه .

فقالت نبيلة وهي تلف ورقة وتربطها بخيط :

— الشيكولاتة مش ح تكفى .

فقالت زينب في إيمان :

— دلوقت ربنا يرزق .

ورن الجرس فتركت سوسن ما في يدها وجرت لتفتح ، وسرعان ما

جاء صوتها معلنا عن القادم :

— تانت جيهان .

وقامت زينب تستقبلها فتهللت بالفرح فقد رأت في يدها صندوق شيكولاتة ، فاندفعت إليها تضمها إلى صدرها وتقبلها وتقول :

— ليه التعب ده ؟

— ما فيش تعب ولا حاجة .. دا سامى قال لى امبارح قلت آجى أبارك لكم .

وتقدمت نبيلة تصافحها ولكنها رأت أن تقبلها ، فأمها قد فعلت ذلك ولا يليق أن تكون التحية بين الشباب أقل حرارة من تحية الشيوخ للشباب .

ودخلت جيهان غرفة أحلام وإذا بسامى يقبل وقد خلع البيجاما وارتدى القميص والبنطلون . وجد أن ذلك أليق . ولما لمح جيهان تضع صندوق الشيكولاتة حيث وضعت أم جلال الصندوق الذى أتت به أراد أن يطمئنها إلى أنهم شاهدوه قال :

— متشكرين .

وأسرعت زينب تعد لها فنجان مغات يليق بالهدية التى حملتها ، وسرعان ما عادت به وقدمته إلى جيهان وهى تقول :

— اتفضلى عقبال ما نشرب الشرابات يوم فرحك والمغات يوم عوضك .

وتناولت الفنجان فى حجل ورشفت منه رشفة قرأ سامى بعدها فى وجهها عدم رضا فقال :

— ١٣٨ —

— بلاش إذا كنتى ما بتحبيش . نجيب لك حاجه تانيه ؟
— أبدا ، ده لذيد ، بس سخن .
وكانت زينب قد استاءت من قول ابنها ، فلما أبدت جيهان رضاها
عنه قالت :

— يا خسارة يا سامى ماليش بخت معاكم .
وأرادت نبيلة أن تغير الموضوع فقالت لجيهان :
— خطيبك اتخرج ؟
— أيوه .

فقالت أحلام :
— وح تتجوزوا امتى ؟
— أول ما تلاق شقه فاضيه .
فقالت نبيلة :

— ربنا يهون ، لولا جوزى كان فى بيتهم شقه فاضيه كنا زماننا
مخطوبين لغاية النهارده .

ولاحظ سامى وأحلام أن هذه أول مرة تذكر فيها زوجها فتبادلا
النظرات ، ولم تر زينب فى ذلك ما يدعو إلى الملاحظة أو الاستغراب
فقالت لتجامل جيهان :

— ح تفرج ، الحكومه قالت ح تبنى شقق للعمرسان .
فقال سامى بسخرية :
— قالت .

وسألت نبيلة جيهان :

— وناويه تكملی بعد الجواز ؟

— طبعا .

وقالت أحلام :

— واتفقتوا إنكم ما تخلفوشی إلا بعد ما تخلصی الجامعة ؟

— طبعا .

فالتفتت أحلام إلى نبيلة وقالت :

— كلهم بيتفقوا فی الأول على كده وبعدين يفهموا .

وقالت نبيلة مؤيدة أختها :

— ما فيش ست يا جيهان تستحمل تضیع شبابها من غير ما تخلف .

فقالت جيهان فی تحد :

— أنا .

فقالت نبيلة فی استسلام :

— كلنا قلنا كده .

وكانت زينب تتململ فی جلستها . لم تكن ضيقة بالحديث الدائر

ولكنها كانت تلهف على أخذ الشيكولاتة التي جاءت بها جيهان لتصبها

فوق كوم الفول والحمص وتخلطها به . وجاءت سنوسن وقالت :

— انتوح تقعدوا هنا على طول ؟ أمال مين الی ح يلف الشيكولاته ؟

ونهرها سامی قائلا :

— امشى دلوقت .

وارتاح زينب لما فعلته ابتها فنهضت وقالت :

— جيهان مش غريبه تيجى تشتغل معانا ، نعب لها فى يوم فرحها .

فقال جيهان وهى تنهض دون أن تدري ماذا ستفعل :

— قوى يا تانت .

وساروا إلى غرفة الطعام ، وتذكرت زينب شيئا فعاتت وأخذت

علبة الشيكولاتة واتجهت بها إلى حيث ذهبوا .

ورأت جيهان كوم الفول والحمص والشيكولاتة ، ورأت مراد

وسوسن منهمكين فى لف ورق السوليفان ففطنت إلى ما ستفعله

فجلست . وأقبلت زينب وقد صبت الشيكولاتة فوق الفول السودانى

والحمص وراحت تقلبه ، ورماها عاطف بنظرة متسائلة وقال :

— منين يا ماما جيتى الشيكولاته دى ؟

فلكرته من تحت المنضدة وكانت كل قسماتها تصرخ فيه : اسكت .

وجلست جيهان وجلس سامى قبالتها وراحوا جميعا يعدون لفافات

الهدايا التى ستوزع على الصغار والكبار فى « السبوع » . وراحت هالة

تحاول أن تبعثر ما تصل إليه يدها وأمها تحجزها .

وغازل عاطف أمه وسرق قطعة شيكولاتة وقشرها وناولها للكلب ،

ولمحه سوسن فقامت :

— ماما الحقى . عاطف بياكل الكلب شيكولاته .

فقال عاطف متبجحا بعد أن انكشف أمره :

— هو يعنى اللى ح يكلوها أحسن منه ؟

— ١٤١ —

وأرادت زينب أن تعلن عن كرمها وسماحتها فقالت :
— ده روح يا سوسن يا كل كل اللى نفسه فيه ، يستاهل كل خير ، ده
من يوم ما دخل بيتنا جانا الفرح كله والخير كله .
ولم يعجب ذلك الكلام عاطف فقال :
— آمال رمياه رمية الكلاب فى السطح ليه ؟

٢٠

وضعت قلة فيها شمعة كبيرة مضاءة طوال ليلة « السبوع » في غرفة نوم أحلام وابنها ، فالشمعة المضيئة لتكون كل أيام المولود أنوارا . والقلة ليشرّب في الصباح رجل حكيم وآخر طويل العمر وثالث هادئ النفس ، ليشب الوليد حكيما طويل العمر هادئ الطبع . واستيقظ الجميع مبكرين تأهباً « للسبوع » ، فلما وقعت عينا زينب على حسين قالت له :

— تعال اشرب من القلة .

فسخر منها فإذا بها تقول له :

— ما فيش حد هنا نفسه أهذا من نفسك .

ولم يستطع أن يتملص منها فقد قادته في خفة ودلال إلى حيث ترقد ابنته ، ورفعت الشمعة من القلة ثم قدمت له القلة وهي تقول :

— أشرب ، دى ميه بزهر .

ورفع حسين القلة وشرب ، وكان سامى ومراد ونبيلة وسوسن وعاطف قد جاءوا يشاهدون أباهم وهو يشرب ، فلما أعاد القلة إلى مكانها مد سامى يده إليها ليرفعها فإذا بأمه تقول له :

— ١٤٣ —

— سيب القله يا سامى .

ونظر سامى فى إنكار إلى أمه فقالت نبيلة :

— انت عايزه يطلع غيار زيك .

فقال سامى فى إنكار :

— بقى انا غيار ؟

— ده انت تغير من هدومك .. ورتنى الويل من غيرتك .

وقال مراد :

— أشرب أنا ؟

فقالت أحلام لتشارك فى اللعبة :

— عشان يطلع مطيور زيك .

— الله بساحك .

وقالت سوسن :

— طب هاتوا أشرب انا .

فقال مراد :

— عشان يطلع فتان زيك . كل حاجه يجرى ويقول الحقى يا ماما ..

الحقى يا ماما .

وصمت عاطف لم يشأ أن يتعرض لألستهم الحداد ، وجاءت هالة

فاذا بأحلام تقول :

— والنبي تسقيها يا ماما م القله .

فقالت زينب :

— ١٤٤ —

— لا . ما حدث ح يشرب منها إلا حماكي لما ييجي .

فقال سامي :

— واشمعي حماها يعني ؟

— عشان ياخذ منه طول العمر .

فقال مراد .

— ووسعان الكرش .

وابتسموا جميعا ، و ايشأ الأب أن يقال إنه سكت على هذه !! . خرية

فقال :



— عيب يا ولد .

وقالت أحلام :

— لما ييجى جلال . خلوه يشرب م القله .

فقال سامى :

— واشمعى جلال ؟

فقال أحلام :

— عاقل ورزين ، يطلع ابنه زيه .

وجاء جلال وأبواه فإذا بزينب تقودهم إلى غرفة أحلام ، فما أن انتهوا من السلام والتحية حتى قدمت زينب إلى مصطفى علوان القلة وهى تقول له :

— اتفضل اشرب .

— أنا مش عطشان ، كتر خيرك .

— لأ ده عشان ياخذ .. ياخذ طبعك الحلو .

فقال أم جلال :

— هو كده ؟ طب هاتوا اشرب بقى .

وناول مصطفى زوجته القلة بعد أن شرب منها ، فلما رفعتها لتشرب تبادل حسين وزينب وأولادهما نظرات استياء . وكأما أرادت زينب أن تمحو أثر شربة حماة ابنتها فقامت وهى تدفع بالقلة إلى زوج ابنتها :

— خد اشرب يا جلال .

فقال وهو يرنو إلى زوجته فى حب :

(الحفيد)

— ١٤٦ —

— إذا كان ولا بد تشرب أحلام ، ياريت ياخذ طبعها الحلو .

وكانما ضايق ذلك القول أمه فقالت :

— طبعا ، قالوا الجحاحب مين في العيله ، قال اللي بتنام في حضنى كل ليله .

وتقاطر الجيران نساء وفتيات وأطفالا وغصت الشقة بهم حتى لم يعد

هناك موضع لقدم ، وجاءت نبيلة إلى أمها وقالت :

— أوزع عليهم دلوقة الملابس والشمع ؟

ولحت زينب جيهان بين الوافدات فقالت لها :

— ما تتعيبش نفسك ، خلى سامى ومراد وجيهان يفرقوا الملابس

والشمع ..

وراح سامى ومراد يوزعان لفافات الفول السودانى والحمص وقطع

الشيכולاتة ، وأخذت جيهان توزع الشمع ، فلما أعطت سوسن شمعة

أبت أن تتناولها وقالت :

— أنا عايزه شمعه كبيره من اللى مخبياهم ماما تحت السرير .

وسمعتها نبيلة فأخذتها بعيدا وهمست فى أذنها أنها ستأخذ ما تريد بعد

أن ينصرف المدعوون .

ودخلت زينب غرفة أحلام وراحت تدق بالهاون بالقرب من أذن

الوليد وهى تقول :

— اسمع كلام امك .. اسمك كلام ابوك .

فقالت أم جلال منتقدة :

— ١٤٧ —

— الكلام ده ما بطل يا ست زينب .

فقال زينب وهى مستمرة فى دق الهاون .

— لأ يا اختى ، أنا ما دقتش لهاله عشان كده بتتفزع وتتفزز من أى

صوت .

ولم تكتف زينب بدق الهاون بل أتت بغربال وضعت فيه شيكولاتة

وقالب سكر ثم وضعت المولود فى الغربال وجعلت تغربله فى حنان .

وخرجت به إلى حيث المدعوون مكдسين فقالت أم جلال :

— وإيه لازمة الشيكولاته والسكر ؟

فقال زينب :

— عشان أيامه كلها تبقى حلوه .

ثم حملته ونحت الغربال بعيدا وقالت :

— ولعوا الشمع .. تعالى يا أحلام .

وإذا بأعواد الكبريت تتوهج وإذا بالشموع تضاء وتسرع نبيلة لتطفىء

الأنوار الكهربائية . وجاءت أحلام وحملت ابنها لتسير فى موكب النور

فكان مشهدا يهز الأفق . ولاح التأثر فى وجوه حسين ومصطفى علوان

وجلال . ولم يكتف مصطفى عواطفه فقال فى تأثر عميق :

— الرجلين الحمر تطول العمر .

وارتفعت أصوات النساء والفتيات والأطفال :

حلاقاتك برجالاتك حلقه ذهب فى وداناتك

وسارت أحلام تحمل الوليد ومن خلفها أمها وحمايتها وأختها ، وبعض

النسوة والفتيات والأطفال يتدافعون حولهن وينشدون :

يارب يا ربنا تكبر وتبقى قدنا وتقيد الشمعه زينا .

ووصل الموكب الصاخب إلى باب الشقة وحسين ومصطفى وجلال

يرقبون الأحداث في انفعال شديد ، وما أن هب الهواء من الباب المفتوح

حتى أخذت زينب المولود من ابنتها وقالت لها :

— ارجعى انتى ، إنتى طريه .

وخافت أحلام على ابنها فقالت لأمها :

— الدنيا برد عليه .

— ما تخفيشى .. أنا مكلفته قوى .

ولم يطمئن قلب الأم فقالت وهى مشفقة على وليدها :

— يعنى لازم يوصل لغاية الشارع ؟

فقالت زينب :

— ده راجل ، هوح يفضل قاعد فى البيت .

وعادت أحلام إلى غرفتها وهى ترتجف خوفا على ابنها ، ولولا خجلها

لخطفته منهن وضمته فى حنان إلى صدرها .

وهبطت زينب الدرج وهى تحمل حفيدها والنسوة والفتيات

والأطفال ينشدون ودوت الزغاريد ، وراح الكلب ينبع من السطح

دون أن يأبه له أحد .

وتدافع الأطفال فى السلم وهم يحملون الشموع ، وخرج حسين

ومصطفى وجلال ينظرون ؛ كانت وجوههم تترقرق بالبهجة

— ١٤٩ —

والانشراف . ولما وصل الجميع إلى باب البيت انصرف بعضهم وعاد البعض خلف زينب وأم جلال ونبيلة .

وانفض الحفل فلم يبق في الشقة إلا أبناء حسين ومصطفى وزوجته وجمال ، وقالت أم جلال :

— نستأذن بقي .

فجالت زينب وهي تدفعها في رفق لتجلس :

— لا والنبى .. لما ناكل لقمة سوا .

فجالت أم جلال :

— معلش اعفينا النهارده .. يوم تانى .

وضايق مصطفى علوان إصرار زوجته على الانصراف قبل أن يتناولوا

عشاءهم فقال :

— الست حلفت ، انتى عايزه تنزلى حلفانها الأرض ١٩

٢١

— مش لاقيه المريله يا ماما .

صاحت سوسن وهى تدور فى غرف الشقة ثم قالت :

— أنا عارفه الأجازه خلصت بدرى ليه ؟

فقال عاطف وهو يبحث عن فردة الجورب تحت السرير :

— ما هى الأيام الحلوه دايمًا عمرها قصير .

وعثر على الجورب فدرس رجله فيه ولبس الحذاء ، وجعل يتلفت منقبا

ثم قال :

— فين كراسة الحساب ؟ بقى يوم ما اخلص الواجب ما القهاش !

ولم يعثر عليها فاشتد ضيقه ، وكاد الغيظ يخنقه فقال :

— أنا عارف مين اللى اخترع المدارس ؟ ما كانش مات قبل ما يخترعها

ويريحنا .

فقال مراد وهو يرشف كوب الشاي :

— دى المدارس حتخليك بنى آدم .

ولم يعجب ذلك الكلام عاطف فقال له :

— يعنى اللى ما دخلوش مدارس ، بنى آدمين ؟ أمال ملوك زمان

— ١٥١ —

ازای بقوا ملوك وهم ما دخلوش مدارس .

ووقفت زينب تصغى إلى ذلك الحوار وفي يديها صينية عليها أكواب
الشاي ، فلما رآها مراد قال ساخرا من أخيه :

— تعرفى يا ماما إن ما كنتوش وديتوا عاطف المدارس كان بقى
ملك .

فجاءت سوسن وقد عثرت على مريلتها وسمعت طرفا من الحوار
فقالَت لأُمها :

— يعنى إيه ملك يا ماما ؟

فقالَت الأم وهى تضع لهم صينية الشاي :

— اشربوا بلاش غلبه عشان تفطروا وتروحوا مدارسكم قبل ما
تتأخروا .

وتناول عاطف كوب الشاي بعد أن رشف منه رشفة وقال :

— ما عندكيش بسكوت يا ماما ؟

فقالَت فى تأنيب :

— اللى ما فى الشقة لقمه .. خد من بابا خمسة صاغ وروح اشتري

لنا عيش .

فقال مراد :

— خد عشرة صاغ وهات بخمسه عيش وبخمسه طعميه .

فقال له عاطف :

— ما تروح انت .

— ١٥٢ —

وكان حسين قد خرج من غرفته فقال :

— خذ يا مراد العشرة صاغ .

وأسقط في يد مراد فذهب إلى حيث وقف أبوه وتناول العشرة
القروش وانصرف ، وجاء سامى بعد أن اغتسل وهو يجفف شعره فقال
له أبوه :

— انت مش رايح النهارده يا سامى ؟

— عندى محاضره الساعه حذاشر .

واقترب سامى من أبيه وقال :

— عايز تلاته جنيه .

— ليه يا سامى ؟

— اشتري الملازم اللى نازله النهارده .

ولما سمع الأولاد ما طلب سامى هرعت سوسن وعاطف إلى أبيهما

وقالت سوسن :

— الناظرة قالت لنا كل واحدده تجيب جنيه .

— ليه ؟

— مساهمة فى نشاط المدرسه .

وقال عاطف :

— وانا برضه قالوا لى هات جنيه .

وعاد مراد يحمل الخبز وقرطاس الطعمية ، فإذا برينب تنادى :

— تعالى يا نبيله قبل الطعميه ما تبرد .

— ١٥٣ —

ووضع مراد ما حمل على منضدة وقال :
— اعملى لى سندويتش يا ماما أنا اتأخرت .
وتناول مراد الساندويتش من أمه وهرع نحو الباب . فإذا بأبيه يقول
له :

— وانت جاي يا مراد هات حسين معاك .. الواد وحشنا .
وفتح مراد الباب وانصرف ، والتفتت نبيلة — التى جاءت وقد
انتفخ بطنها — إلى أمها وقالت :
— بابا اتعلق بابن أحلام .
— يا بنتى قالوا فى الأمثال : أحب الولد ولد الولد .
وخرج عاطف وتبعته سوسن ، وجلست الأم مجاملة لابنتها نبيلة
فما كانت لتأكل إلا بعد أن يأكلوا جميعا ، ونادت على زوجها وابنها
قالت :

— حسين .. سامى .. تعالوا كلوا لكم لقمة .
وأقبل حسين وسامى يشاركانهما الطعام ، فقالت زينب :
— تاكلوا إيه النهارده ؟
فقال حسين :
— اللى تعملوه ..
فقالت زينب .
— ما تدوخونيش كل يوم .. قولوا تكلوا إيه ؟
فقال سامى :

— بسله ورز .

— النهارده الاتنين ما فيش لحمه ، رأيكو تحدقوا النهارده تاكلوا كشرى .

فقال سامى :

— لما انتى ناويه تأكلينا كشرى بتسألينا ليه ؟
كان ذلك شأنها تسألهم عما يريدون أن يأكلوا ثم تصنع لهم ما يحلو لها .

وانصرف الأب ثم سامى ولم يبق فى البيت غير زينب ونبيلة وهالة ،
فقالَت نبيلة لأمها :

— خشى انت استريحى النهارده وانا اعمل الكشرى .

فقالَت زينب :

— أستريح من أيه ؟

— من دوشتهم .

— والله البيت من غيرهم ماله طعم ، مش عارفه ح اعمل إيه لما يكبروا ويتجوزوا ويصفصف علينا البيت أنا وابوكى .

وشردت زينب مفكرة ، ولاحظت نبيلة مسحة من الأسى تكسو وجه أمها فقالَت لها :

— ما تفكريش فى الحكايه دى لسه بدرى .

— الأيام بتجرى يا نبيلة ، أنا ولدتك من عشرين سنه فاتوا زى ما

يكونوا يومين . فاكـره لما كنتى زى سوسن ؟ أدى انتى اتجوزتى وكلها

جمعه واللا اتنين وح تبقى أم .

وشردت نبيلة ولاحظت زينب سهومها فقالت لها :

— الدنيا على كده .. ما تفكريش .

ودخلت الأم المطبخ وتبعثها نبيلة ، وإذا بهالة تسير خلفهما تتعثر في أرجلهما . وبعد الظهر عاد الأولاد إلى البيت وقفل حسين راجعا وكان أول ما قاله :

— هو مراد جه ؟

فقالت زينب :

— لسه .

— يبقى راح يجيب حسين .

وقبل أن يلتفتوا حول الكشري دق جرس الباب فصاحت سوسن :

— مراد جه .

وهرولت إلى الباب وفتحته ثم صاحت في فرح :

— جاب حسين معاه .

وقام حسين ليستقبل حفيده ونبيلة ترقبه في عطف ، فلما وصل إلى

حيث كان مراد سمع سوسن تقول متوسلة :

— أنا أشيله .. أشيله والنبي .

وحمل حسين حفيده وراح يداعبه .

فإذا بزينب وأبنائها جميعا يهرعون لمداعبة الطفل ، وارتفعت

الأصوات :

— ١٥٦ —

— أنا أشيله .. أنا أشيله .

فالتفتت إليهم زينب وقالت :

— اشمعنى ده حلى ، ما كلكم بتهربوا من شيل هاله .

وأراد حسين أن يرضيهم جميعا فوضع الطفل على الأرض ، فإذا بهم
يركعون على ركبهم وأيديهم حتى حسين وزينب فعلا ذلك وراح كل
منهم يحاول بحركات وجهه وإخراج لسانه وتلعيب حاجبيه أن يلفت نظر
الطفل إليه . ورأى عاطف أن عقد الأسرة لا بد أن يكتمل فأسرع إلى
السطح وأحضر الكلب ووضعهم معه في الحلقة التي ضربت حول
حسين الصغير .

ومر بعض الوقت وجاء جلال وقال :

— فين سونه ؟

فقالت زينب :

— جوه مع جده .

— أحلام عايزاه لاحسن وحشها .

ودخل وحمل ابنه وانصرف ، وهرع عاطف وسوسن إلى
التلفزيون ، وجاءت جيهان ودخلت تذاكر مع سامى ، وسمع صوت
كلاكس سيارة فقال مراد :

— صاحبى جه .. أنا رايج يا ماما أذاكر معاه .

فقالت زينب :

— طب ما تذاكر هنا .

— ١٥٧ —

— فين ؟.. سامى وجيهان بيذاكروا فى الأوده ، السنه دى مش عايزه لعب دى الثانويه العامه .

— والله أنا خايفه عليك .

— بقى جيهان بتذاكر مع سامى وما حدش خايف عليها وخايفه علىّ أنا أذاكر بره .

وخرج مهرولا وهبط الدرج يركب إلى جوار صديقه فى السيارة وانطلقت بهما ، وعند شارع من شوارع القاهرة الهادئة وقفت السيارة وصعدت إليها فتاتان ثم انطلقت السيارة والضحكات تتجاوب فى أرجائها .

وترك عاطف التلفزيون وذهب إلى أبيه وقال :

— النهارده كان فيه روايه فى التلفزيون غريبه قوى خلصت من غير ما حد يتجوز فى آخرها .

وقالت له زينب :

— طب خش انت واختك وذاكروا بقى ، شايفين سامى بيذاكر ازاي ومراد خرج فى البرد ده عشان يذاكر ، كبدى عليه ح يموت نفسه فى المذاكره السنه دى .

٢٢

بخار الماء يملأ الشقة وأحلام وجلال وحسين يغدون ويروحون في قلق ، ومن شدة قلقهم يتبادلون حمل حسين الصغير كلما هم بالبكاء ، وارتفع صوت زينب قائلة :

— ناولينا الميه السخنه يا أحلام .

وحملت أحلام الماء الساخن واتجهت به إلى الغرفة المغلقة ، وسرعان ما ارتفع بكاء المولود ، فخرجت زينب وقالت :

— مبروك ولد .

وخرجت الدكتوراة ودخل حسين وجلال وأحلام يباركون للنبيلة ، وسرعان ما خرجت أحلام يتبعها زوجها فقالت وقد ظهر الضيق في وجهها :

— والنبي ابن خالك ده بايخ .

وهاجمت رأس جلال فكرة وما أسرع أن عزم على إنفاذها ، فحمل ابنه وخرج لا يلوى على شيء وانطلق إلى بيت ابن خاله ، فلما طرق الباب فتحه له شفيق ، فما أن رأى ابن جلال حتى بش وحمله ودخل وهو يداعبه ، فإذا بحسين الصغير يتسم فيستشعر شفيق أن الكون كله قد

أشرق .

وجلس الرجلان ولا حديث بينهما فقد كان وجود الطفل أفصح من كل كلام ، فنهض شفيق وعاد يحمل شيكولاتة وقال لجلال :

— يا كل شيكولاتة ؟

— بياكل .

وقدم شفيق الشيكولاتة للطفل فراح يأكلها وقد لوث فمه ، فلما أتى عليها حمله شفيق وذهب إلى الحمام وراح يغسل له فمه والطفل يعث بيده في الماء المنهر من الصنبور .

وأحس شفيق مشاعر رقيقة . إن كل كآبة قد غسلت من صدره وانسكبت فيه عواطف ناعمة رقيقة حانية ، ولم يستطع أن يكبح جماح إحساساته فقال :

— ابنك لطيف يا جلال .

ورى جلال أن يطرق الحديد وهو ساخن فقال :

— نبيله جابت لك ولد ألطف منه .

فقال شفيق دون تفكير :

— هي نبيله ولدت ؟

— ولدت وجابت لك ولد ألطف من حسين .

— مش معقول :

فقال له جلال وقد دنا منه .

— مش تعقل بقى وتسبب عناد الأطفال ده .

— ١٦٠ —

ولم يحز شفيق جواباً بل ضم إليه الطفل وقبله قبله ترجمت عن التحول
الهائل الذي طرأ عليه ، فقال له جلال :
— طب قوم بقى نروح لها .
فقال له شفيق وهو يبتسم :
— يعنى مش تيجى معايا لما ابيع العربيه .
فقال له جلال فى انشراح :
— نويت ؟

فهز له شفيق رأسه أن نعم ، وانصرف الشابان وركبا السيارة لآخر
مرة وانطلقا بها إلى محل بيع وشراء سيارات وقد غادره بدونها .
ودق جرس باب شقة حسين فهرعت سوسن وفتحت ، وما أن رأت
جلال وشفيق حتى صاحت :
— شفيق جه يا ماما .

وخف حسين لاستقبال زوج ابنته وهو يكاد يطير من الفرح ،
وجرى عاطف إلى نبيلة يزف إليها البشرى . وما أن وقعت عينا حسين
على شفيق حتى اغرورقت عيناه بالدموع ولم يتمالك حتى عانقه . ومسح
جلال من عينيه دموعاً كبيرة انحدرت على خده ، وهرع الجميع إلى شفيق
فرحين . لأنهم يصافحونه مصافحة الغائب الذى عاد . واستقبلته زينب
مرحبة :

— أهلاً .. أهلاً وسهلاً .. ادخل .. ادخل شوف ابنك .
ودخل شفيق ، وما أن تلاقت عيناه بعيني نبيلة حتى اغرورقت عيناه

— ١٦١ —

بالدموع وسحت نبيلة العبرات فقالت زينب :

— ده مش وقت عياط .

وخطفت أحلام ابنها من أبيه وراحت تقبله لتنفس عن العواطف
المكبوتة في صدرها ، فلو طاوعت نفسها لأجهشت بالبكاء .

وجاء سامى يداغب شفيق فقال :

— والله كبرنا وبقي لنا أولاد .

فقال له شفيق :

— عقبالك لما تبقى راجل زينا .

وجاء مراد وقال :

— الجو لذيد قوى .

فقالت له أحلام :

— وانت اش عرفك ؟

وانسل مراد دون أن ينبس بكلمة ، ومالت زينب وحملت المولود
وقدمته إلى أبيه ، فحمله شفيق وقد انداحت رقة في جنباته وظل يرنو إليه
في حب عميق ، فقالت له نبيلة :

— مش حلو ؟

فقال في صدق :

— ما فيش أجمل من كده .

فقال سامى :

— خنفسة شافت ولادها على الحيط ، قالت ما أحلى ولادى زى

(الخفيد)

اللولى فى خيط .

فقال أحلام :

— ده والنبي كله انت .

فقال سامى :

— هو انا وحش كده ؟

فقال نبيلة :

— يا ريتك كنت حلوزيه .

وجاءت زينب بفنجان مغات وقدمته إليه وقالت :

— اتفضل .

فأعاد شفيق ابنه إلى جوار أمه وتناول الفنجان ، وقالت له زينب :

— خلاص ، افضل معانا لغاية « السبوع » .

— متشكر ، أنا السبوع ح اعمله فى بيتنا .

وازدرد حسين ريقه ، فما كان يحتمل حدوث ما حدث يوم

« سبوع » ابن أحلام ، وما انتهى شفيق من شرب المغات حتى عاد

يحمل ابنه ، ثم التفت إلى حماء وقال :

— ح اسميه حسين .

فقال أحلام :

— احنا سبقناك .

— ١٦٣ —

فقال شفيق :

— وفيها إيه ، ابنكم اسمہ حسین جلال وانا ابني اسمہ حسین
شفيق .
وطغت عواطف حسين فذهب إلى شفيق واعتنقه .

٢٣

كان جلال وأحلام يدفعان عربة ابنهما أمامهما وإلى جوارهما يسير شفيق ونبيلة يدفعان عربة أخرى بها ابنهما . كان الجو لطيفا والطريق هادئا وكانت المشاعر التي تفيض بها النفوس . وساد الصمت بينهم فكل منهم كان ينعم بالانشراح الروحي الذي جعله يحس أنه يهيم في ملكوت من لطف وسحر وجمال .

وأراد جلال أن يقطع الصمت الذي لفهم فالتفت إلى شفيق وقال :

— أنين ألد ، سواقة العربية والازق العربيه ؟

فدفع شفيق عربة ابنه أمامه وقال :

— زق العربيه ألد .

فقال جلال مداعبا نبيلة :

— خلاص تيجي له أخت .

فقالت نبيلة في تصنع :

— توبه ، كفايه واحد ، هو احنا قادرين عليه .

وقال شفيق :

— ده قاطع أبونيه عند الدكتور من يوم ما جه ، وعبال ما نلاق علبة

اللبن بندوخ .

وقالت نبيله في إشفاق :

— الله يكون في عون ماما . أنا عارفه ربنا ازاي .

ولم يعجب ذلك الكلام أحلام فقالت :

— أنا ح اجيب له أخ واللا أخت ، لو فضل وحده ح يطلع أناي .

فقال شفيق :

— أناي أناي بس كفايه علئ كده .

وقالت أحلام لأختها :

— إلا يا نبيله لما ح تتوظف ح تعمل في إيه ؟

— ح اسبيه عند ماما الصبح ولما ارجع ابقى آخده .

فقال أحلام :

— تفكرى الماهيه الى ح تاخديها تستاهل المرطه دى كلها ؟ ح

تدوئى بها جزم وشربات وح تركبى بها تاكسيات .

فقال شفيق :

— انتى متفائله قوى ، هي فين التاكسيات دى ؟

وقالت أحلام وقد ذهبت لتغطي ابنها جيدا بينما جلال يدفع العربى :

— لو الحكومه تنصف كانت قالت : الست المتجوزه ومخلفه تقعد في

البيت وتدى لجوزها نص ماهيتها .

فقال نبيلة معترضة :

— وليه ما تاخودهاش هي ؟

— ياخذها هو تاخذها هى المهم إن الستات الى متجوزين ومخلفين
يقعدوا يربوا اولادهم ، تربية الأولاد أهم من الشغل الى بيشتغلوه ده إن
كانوا بيشتغلوا حاجه . دى زيادة عن إن أزمة المواصلات ح تتحل ، وإن
الدوله ح توفر الفلوس الى بتشتري بيها كإليات وتواليتات للستات الى
بيشتغلوا ويخرجوا كل يوم .

ومرت الأيام وخرج حسين مع أحفاده ، قصد حديقه من الحدائق
وسار فى يده حسين جلال وحسين شفيق وفى يده الأخرى زينب
الصغرى ابنة أحلام ، إنه كان سعيدا يستشعر أن شبابه قد عاد إليه وأن
الدنيا تبتسم له .

ومرت الشهور وخرج جلال وزوجته وشفيق وزوجته للنزهة .
كان جلال قد أمسك ابنه حسين فى يد وفى يده الأخرى زينب
الصغيرة وأحلام تدفع العربيه فيها وليده الثالث ، وسار شفيق وقد قبض
على يد ابنه فهو يخشى أن يجرى ، فحسين شفيق لا يطيق أن يمشى
الهوينى ، وقد دفعت نبيلة العربيه وفيها مولودها الثانى ، والتفت إليها
جلال وقال :

— البنت الثالثه سميا أحلام .

— لأ يا خويا كفايه .

— ما انتى نفسك فى بنت .

فقالت نبيلة وهى تضحك :

— دول عايزين أب سعيد وأم حديد .

فقال جلال مداعبا شفيق :

— خلاص ! أبوهم غنى وامهم عيني بارده عليها .

فقال شفيق :

— القرشين طاروا والشكوى لغير الله مذلة ، ده احنا لو جينا الثالث

ح نقف على باب سيدنا الحسين ونقول لله .

فقال له جلال :

— يا راجل قول الحمد لله . انت بتشتغل ونبيله بتشتغل .

وقالت أحلام :

— وبترمى اولادها على امها .

وتصرمت أشهر وانقضى عام ، ورن الجرس فى بيت حسين ،

فأسرعت زينب وفتحت وإذا بنبيلة قد جاءت بأولادها الثلاثة وقالت

زينب لأحفادها :

— أهلا .. أهلا بالحلوين .

وانسلت نبيلة وهى تقول :

— يمكن اتأخر فى الشغل النهارده .

— على مهلك يا بنتى .

— معلش ، أنا عارفه إنهم بيتعبوكى .

— أبدا يا نبيله .

ودخلت زينب بعد أن حملت الصغيرة التى كانت على كتف ابنتها

وقالت لحفيدها :

- حسين امسك إيد اخوك وتعالى .
وسارت وأجلست الطفلين وقالت لهما :
— خليكو هنا لما أشوف لكم كل واحد بيضه .
ودخلت إلى المطبخ وهى تحمل حفيدتها وتداعبها ، وما لبثت أن
سمعت جرس الباب فقالت وهى تضع البيض على النار :
— حاضر .. جايه .. جايه اهو .
وفتحت الباب فإذا بجيهان تحمل ابنتها على كتفها :
— لا مؤاخذه يا تانت ، والنبي تخلى بنتى مع اولاد نبيله لغاية ما
اخلص الامتحان ، هانت آخر امتحان .. أصل جوزى سافر امبارح .
— من عيني يا جيهان . قعديها معايم .
ودخلت جيهان وأجلست ابنتها مع حسين الصغير وأخيه ، فمال
حسين وقبلها .
فقالت زينب :
— لايقين لبعض . مش كده يا جيهان ؟
فابتسمت جيهان وقالت :
— خلاص يا تانت ، خدوها من دلوقت .
— ربنا يهنيكى بيه .
وقالت جيهان :
— هو سامى خرج ؟
— خرج من بدرى .

— ادعى لنا يا تانت .

— ربنا ينجح مقصودكم يا بنتى .

وانصرفت جيهان ، وعادت زينب إلى المطبخ فألفت الماء يغلى والبيض يتحرك في الإناء من شدة البخار ، فأطفأت النار وأخذت البيض وذهبت إلى حيث كان الأطفال وجلست على الأرض وقشرت أول بيضة ، فأخذها حسين فإذا بأخيه يستاء فقالت له :

— معلش ، ح اديك البيضه اللى باقشرها دى .

ومدت ابنة جيهان يدها وقبضت على بيضة كانت في الطبق ، فإذا بها تصرخ ، كانت البيضة لا تزال ساخنة . وفزع ابنة نبيلة فبكت لبكاء ابنة جيهان . ولما رأى حسين وأخوه بكاء أختهم انخرطا في البكاء وراحت زينب تحاول إسكات الأطفال الثلاثة دون جدوى ، صفقت لهم .. انشالت والمحطت في مكانها كالقرد ، أصدرت أصواتا لعل الأطفال ينشغلون بها عن البكاء ، صنعت كل ما في طاقتها دون جدوى ، وظل البكاء مستمرا بل ازداد كأنما البكاء يجلب البكاء ، ونفد صبر زينب فقالت في غضب وبأس :

— بقى يا رنى هم يزرىبوا وتيجى على راسى انا ؟!

٢٤

مرت خمس عشرة سنة منذ زفاف أحلام ، وكان حسين فى غرفة النوم شاردًا .. يعجب كيف انقضت سريعًا كل تلك السنين . إنه سيبلغ سن الستين بعد أيام ، سن التقاعد ، وهو لا يدري ماذا ستكون حياته بعد ذلك ، وقد اعتاد أن يخرج فى الصباح ويتجه إلى مكتبه ويمكث به حتى منتصف الثانية بعد الظهر ، وكثيرًا ما كان يعود إليه فى المساء . صار مكتبه قطعة منه يحز فى نفسه أن يفارقه بعد صحبة السنين الطويلة . إنه وإن كان جمادًا إلا أنه كان بالنسبة إليه أكثر حياة من كثير ممن عرفهم ومن مروا فى حياته مر الكرام . ويا طالما شهد ذلك المكتب أيام بهجته وأيام سروره وأيام ضيقه ، فبين جدرانها جرت أحلى الذكريات . ولحت زينب الأسى فى وجه زوجها فقالت له :

— بتفكر فى إيه يا حسين ؟

فقال حسين وهو يتسهم ابتسامة مريرة :

— ح ييقى عندى ستين سنة بعد اربع تيام .

فقالت زينب :

— ربنا يدملك طولة العمر ، أبويا عاش لما بقى عنده تمانين .

ولم يكن بلوغه سن الستين هو الذى يشغله إنما كان يشغله أنه لن يذهب إلى مكتبه ، ليتهم يسمحون له بأن يذهب إليه بعد التقاعد دون أن يتقاضى شيئاً فوق معاشه . إن ما يحز في نفسه أنه سيفقد عاداته ، وإنه لمن الصعب أن يعتاد المرء على شيء لم يألفه من قبل بعد الستين ، فقال :

— ح انحال ع المعاش يا زينب .

— الحمد لله ، لا عندنا اللي بيعيط ولا عندنا اللي بيوقوق ، خلصنا دمتنا منهم كلهم .

ولمعت في ذهنها فكرة فقالت :

— انت طول عمرك مهنينا ، لازم نحتفل بك .

فقال حسين في خوف :

— لأ يا زينب ، ما فيش لازمه .

صرفت علينا كلنا ح تبخل على نفسك ؟

وتردد وأخيراً رأى ألا مفر من أن يقولها :

— لازم يا زينب نمسك إيدينا ، انتى عارفه المعاش يعنى إيه .

— راضيين والحمد لله ، وهو لما نحتفل بيبك لازم نبعزق ، ح نعزم

الأولاد ع الغدا واللا العشا ، ويوم ما يبقوا كلهم حوالينا يبقى يوم عيد .

— احنا دلوقت يا زينب ما نقدرش نكفيهم عيش .

— الحخير كثير ، والنبي لانفرح بيبك زى ما فرحتنا كلنا .

ويوم أتم الستين اجتمعت الأسرة حول المائدة ، إنها لم تعد أسرة بل

صارت قبيلة ، ومدت المائدة حتى وصلت إلى الغرفة التى كانت

للبنات ، وجلس حسين على رأسها ، وعن يساره شفيق وخمسة أبناء ،
وبعدهم جلست نبيلة ، وجلس سامى وبعده ولدان ثم زوجته ، ثم
سوسن وابنتها وزوجها ، وعن يمينه جلس جلال وثلاثة أبناء ثم أحلام ،
وبعد أحلام جلس مراد وابنه وزوجه ، ثم هالة وزوجها ، وجلس
عاطف وحده فلم يتزوج بعد .

وجاءت زينب من المطبخ تحمل حلة كبيرة بها مغرفة ، فلما رآها
الأحفاد صاحوا :

— تيتا .. تيتا .. تعيش تيتا .

وقالت زينب لتغريهم على التزام الصمت :

— الى ح ياكل وهو ساكت جدو ح ياخذ الملاهى .

وراحت تغرف من الحلة وتضع فى الصحاف الموضوعه أمام الجميع ،
فإذا وصلت إلى هالة قالت لها :

— خدى بالك من جوزك يا هاله .

وإذا غرفت لمراد وابنه وزوجته قالت :

— أكل ابنك ومراتك يا مراد .

وغرفت لأحلام وقالت لها :

— مش ح اوصيكى على اولادك يا أحلام .

وغرفت لجلال وقالت :

— يعجبني جلال . مش عايز حد يأكله .

ووصلت إلى زوجها فغرفت له وقالت :

— ١٧٣ —

— ربنا يخليك لنا ميت سنه .

وغرفت لشفيق ولأولاده الخمسة ولنبيلة ثم قالت لها :

— شدى حيلك يا نبيلة ح تبقى عيله زينا .

فقال جلال مازحا :

— قصدك قبيله ..

وابتسم حسين فابتسم الجميع ، وغرفت لسامى وقالت له :

— أوعى تاكل أكل ولادك يا سامى .

وراحت تغرف لولديه ولزوجته .

وغرفت لسوسن وهى تقول :

— مين كان يصدق ان سوسن ح تكبر ويبقى لها بنت .

وقالت أحلام :

— اقعدى بقى يا ماما .

فقالت زينب وقد أفرغت الحلة وانطلقت صوب المطبخ :

— لما اجيب لكو المكرونة .

وغابت قليلا ثم عادت تحمل صاجا أشبه بصاج المكرونة فى محال

السنيديوتشات ، وصاح الأحفاد :

— تيتا .. تيتا .

— الى ح ياكل وهو ساكت ح ياخده جدو الملاهى .

وانطلق حسين فى رفقة أحفاده إلى الملاهى ، وذهب إلى الشباك

وقال :

— اتناشر تذكره .

فنظر الرجل إلى الأولاد ، ثم رمق حسين في إشفاق وقال :

— كفايه تسعه .

وتناول التذاكر واتجه إلى الباب . فإذا بالرجل الواقف عند الباب يلقي نظرة إشفاق على الأولاد ويرق قلبه لحسين فيأخذ منه التذاكر ، ثم ينطلق إلى شباك الحجز ويعيد ثلاث تذاكر ثم يقفل عائداً إلى حسين ويعطيه ثمن التذاكر التي ردت ويقول له :

— كفايه ستة .

ويدخل الأحفاد إلى الملاهي ويمجرون هنا وهناك فيصيح حسين :

— حسين جلال .. حسين شفيق .. خلوا بالكو من اخواتكم ومن الأولاد .

فرد عليه أحدهم :

— استريح انت عندك وح نبقي نيجي لك .

وذهب حسين وجلس على مقعد وغفا ، وانتشر الأحفاد في الدنيا الضيقة — وما أسرع ما سينتشرون في الدنيا الواسعة ، في أرض الله .

مؤلفات الأستاذ عبد الحميد جودة السحار

- أحسن بطل الاستقلال
- أبو ذر الغفارى
- بلال مؤذن الرسول
- فى الوظيفة
- سعد بن أبى وقاص
- همزات الشياطين
- أنباء أبى بكر الصديق
- فى قافلة الزمان
- أميرة قرطبة
- النقاب الأزرق
- المسيح عيسى بن مريم
- أهل بيت النبى
- محمد رسول الله تأليف : مولاي محمد على
- ترجمة بالاشتراك مع مصطفى فهمى
- قصص من الكتب المقدسة
- صدى السنين
- حياة الحسين
- الشارح الجديد
- وكان مساء
- أذرع وسيفان
- المستنقع
- ليلة عاصفة
- الحصاد
- جسر الشيطان
- ترجم إلى الاندونيسية
- (مجموعة أقاصيص)
- (مجموعة أقاصيص)
- (رواية)
- (قصة)
- (قصة)
- (قصة)
- (مجموعة أقاصيص)
- (رواية)
- (قصة)

— ١٧٦ —

- النصف الآخر
- السهول البيض
- أم العروسة
- قلعة الأبطال
- وعد الله وإسرائيل
- عمر بن عبد العزيز
- هذه حياتي
- الحفيد
- ذكريات سينائية
- كشك الموسيقى
- خفقات قلب
- صور وذكريات
- الإسراء والمعراج
- القصة من خلال تجاريف الذاتية
- عدو البشر
- أبطال الجزيرة الخضراء
- النمر
- الله أكبر
- ثلاثة رجال في حياتها
- مسجد الرسول
- فات الميعاد
- آدم إلى الأبد
- العرب في أوربا
- الدستور من القرآن العظيم

رقم الإيداع ٣٤٢٨
الترقيم الدولي ٧ — ١٤٤ — ٣١٦ — ٩٧٧

مكتبة مصر
٣ شارع كائن صدقي - البجالة

736

Bibliotheca Alexandrina



0293731

الثلث ٣٢٥ قرشا

دار مصر للطباعة
سميد جوده السحار وشركاه